مجموع
رسائل ومقالات

الشيخ عبدالله بن قعود

جمعها ورتبها وخرّج أحاديثها

عبدالله بن سليمان بن عبدالله آل مهنا

حقـوق الطبـع محفوظـة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

ⓒ دار المعراج الدولية ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القعود ، عبدالله بن حسن

مجموعة رسائل ومقالات / جمع عبدالله بن سليمان بن عبدالله آل مهنا - الرياض.

١٨٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٣ - ٧٨ - ٧٥١ - ٩٩٦٠

١ . الإسلام - مقالات ومحاضرات ٢ . الوعظ والإرشاد

أ- آل مهنا ، عبدالله بن سليمان بن عبدالله (جامع)

ديوي ٨, ٢١٠ ٢٠/١٤٣٢

رقم الايداع ٢٠/١٤٣٢

ردمك : ٣ - ٧٨ - ٧٥١ - ٩٩٦٠

دار المعراج الدولية للنشر

الرياض ١١٤٢١ - ص.ب ٨٥٨

هاتف : ٤.٨.٨.٤ - ٤.٣٦٢٧٨

فاكس : ٤.٨.٧٩٦

المملكة العربية السعودية

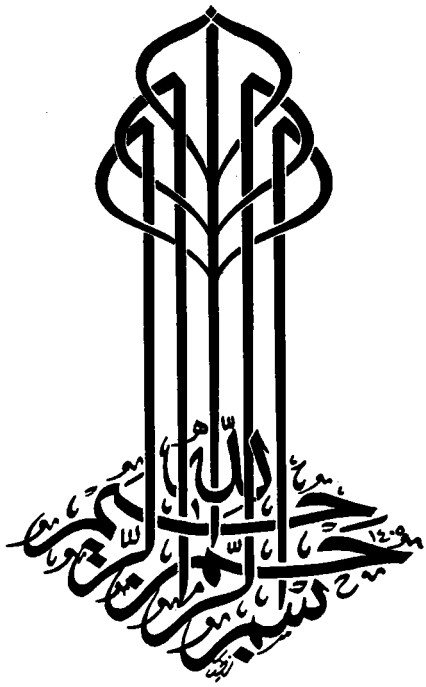
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
مكتب الرئيس

الرقم ٢٢٢٥/ع
التاريخ ١٤١٢/٢/٢٥
المرفقات

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة الشيخ/ عبد الله بن حسين بن قعود. وفقه الله لما فيه رضاه وزاده من العلم والإيمان آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فقد وصلني كتابكم الكريم المؤرخ في ١٤١٢/١/٩هـ ووصلكم الله بهداه واطلعت على الرسالة المرفقة به الموجهة من فضيلتكم إلى خطباء الجمعة فألفيتها رسالة جيدة ومفيدة لكني أرى ألا تطبع وحدها ولكن لا مانع من طبعها ضمن خطبكم المطبوعة حتى ينتفع بها إن شاء الله ويطلع على كتابكم أو في كتاب آخر تجمعونه فيه ما صدر منكم من النصائح والمحاضرات وتلونه لهذه الرسالة من ضمنها ويكون عنوانها نصيحة للخطباء وغيرهم من المحاضرين والوعاظ. وأسأل الله أن يباركك في جهودكم وأن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين إنه سميع قريب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام
لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم صاحب الفضيلة

الشيخ/عبدالله بن حسن بن قعود وفقه الله لما فيه رضاه وزاده من العلم والإيمان آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فقد وصلني كتابكم الكريم المؤرخ في ٩/ ١/ ١٤١٢هـ وصلكم الله بهداه، واطلعت على الرسالة المرفقة به الموجهة من فضيلتكم إلى خطباء الجمعة فألفيتها رسالة جيدة مفيدة، لكني أرى ألا تطبع وحدها، ولكن لا مانع من طبعها ضمن خطبكم المطبوعة حتى ينتفع بها إن شاء الله من يطلع على كتابكم، **أو في كتاب آخر تجمعون فيه ما صدر منكم من النصائح والمحاضرات**، وتكون هذه الرسالة من ضمنها ويكون عنوانها: نصيحة للخطباء وغيرهم من المحاضرين والوعاظ.

وأسأل الله أن يبارك في جهودكم، وأن يجعلنا وإياكم من الهداة المهتدين

إنه سميع قريب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فهذا هو المجموع الأول من رسائل شيخنا العلاّمة الشيخ عبدالله بن حسن ابن محمد آل قعود، أقدّمه لمحبي الشيخ وتلاميذه خاصة، ولعموم المسلمين.

وأسأل الله أن يجزي الشيخ خير الجزاء على ما قدّم للإسلام والمسلمين، وأن يحسن لنا وله الخاتمة، وأن يبارك في عقبه، وأن يكلل أعمالنا بالتسديد، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

ولا يفوتني أن أذكّر القراء بأن من لديه شيء من آثار الشيخ فإني أود تزويدي بنسخة منها ليتسنى إخراجها في مجموع آخر.

وبالله التوفيق

عبدالله بن سليمان آل مهنا

صندوق بريد: ٥٦٦٦ - الرياض ١١٤٣٢

هاتف: ٠٥٥٢٠٣٤٢٩

ترجمة الشيخ عبدالله بن قعود

الحمد لله الذي أكرم أمة محمد ﷺ بميراثه، فحمله العلماء كابراً عن كابر حتى آل إلينا بعد تحقيق وتمحيص ونقد وتصحيح، بذل فيه العلماء أوقاتهم وأسهروا لياليهم، وقدّموا مهجهم فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وكان لهذه الجزيرة حظاً وافراً من العلماء العاملين الذين كانوا ولا يزال لهم الأثر البيّن في توجيه مسيرة الإسلام والدعوة إلى الله تعالى في العالم، والفضل بعد الله تعالى يعزى إلى ما قام به الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله من دعوة إصلاحية أحيت روح الإسلام في قلوب الناس، وأعادت الناس إلى أصل دينهم الذي أرسل به محمد ﷺ، وسار عليه مِنْ بَعدِه سلفُ الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

ومن أتى بعد الشيخ رحمه الله من علماء هذه البلاد فإنما هو تلميذ على ما كتب خاصة في أصول الدين، فكان ولايزال طلاب العلم يؤسسون أنفسهم على مختصرات الشيخ محمد بن عبدالوهاب كالأصول الثلاثة وكشف الشبهات والقواعد الأربع وكتاب التوحيد، وكفى بذلك تأثراً واتصالاً.

وكان من هؤلاء العلماء العاملين شيخنا العلامة الأثري عبدالله بن حسن بن محمد بن حسن بن عبدالله بن قعود، ولد حفظه الله ليلة السابع عشر من رمضان سنة ١٣٤٣هـ في بلدة الحريق جنوب الرياض؛ فنشأ بنعومة أظفاره في بيت محافظ ثري بين والديه؛ فأدخله والده الكُتاب فتعلم مبادئ الكتابة وقراءة القرآن لدى الشيخ محمد بن سعد آل سليمان، وذلك في آخر العقد الأول من عمره وأول الثاني، ثم حفظ القرآن بعد ذلك وبعض مختصرات شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله تعالى على يد قاضي البلد آنذاك الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم آل عبداللطيف (من أهل شقراء) رحمه الله.

وبعد أن شبّ وأدرك تاقت نفسه للعلم فرحل في طلبه إلى «الدلم» قبلة العلم في تلك المنطقة في ذاك الزمن حيث الإمام الجليل الذي تضرب له آباط الإبل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله؛ فلازمه أربع سنين من صفر سنة ١٣٦٧هـ حفظ عليه متوناً علمية من أمهات المتون كالعقيدة الواسطية وكتاب التوحيد وبلوغ المرام والآجرومية، وكثيراً من ألفية بن مالك ونخبة الفكر وغيرها من المتون التي كانت تُدرس في ذاك الزمن.

ولما افتتح المعهد العلمي في مطلع عام ١٣٧١هـ التحق به، وتخرج في كلية الشريعة عام ١٣٧٧هـ. وكان من مشايخه في الدراسة النظامية:

الشيخ عبدالرزاق عفيفي رحمه الله الذي توثقت صلته به بعد الدراسة فاستفاد من آرائه، كما زامله في اللجنة الدائمة للإفتاء وهيئة كبار العلماء، ومن مشايخه في هذه الفترة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبدالرحمن الأفريقي وكلاهما من أساتذة المعهد العلمي، كما تتلمذ في علم التجويد على الشيخ سعد وقاص البخاري في مكة المكرمة بعد حج سنة ١٣٧٠هـ.

أعماله:

- في ٤/ ٥/ ١٣٧٥هـ عين مدرساً بالمعاهد العلمية.
- وفي ٩/ ٥/ ١٣٧٩هـ انتقل إلى وزارة المعارف مفتشاً للمواد الشرعية بالمرحلة الثانوية.
- وفي ٨/ ١١/ ١٣٨٠هـ انتقل إلى ديوان المظالم عضواً قضائياً شرعياً.
- وفي ١/ ٤/ ١٣٩٧هـ انتقل إلى رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء وعمل بها عضواً في اللجنة الدائمة للإفتاء المنبثقة من هيئة كبار العلماء بجانب عضويته في الهيئة.

- وفي ١/ ١/ ١٤٠٦هـ أحيل للتقاعد.

كما أن للشيخ حفظه الله جهوداً مشكورة في مجال الدعوة إلى الله عبر إلقاء الدروس العلمية والمحاضرات.

كما عمل متعاوناً مع جامعة الملك سعود في إلقاء محاضرات لطلاب الدراسات العليا بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية.

كما أن للشيخ جهوداً ملحوظة في مجال الخطابة حيث عين في ٢٠/ ٨/ ١٣٧٨هـ إماماً وخطيباً لمسجد المشيقيق بالرياض.

- وفي ١/ ١/ ١٣٩١هـ عين خطيباً لجامع المربع إلى أن توقف بسبب أعمال الترميم في الجامع آخر سنة ١٤١٨هـ.

★ وقد جمع الله تعالى للشيخ من الخصال الحميدة ما لا يتوفر إلا في القلائل من العلماء، ومن ذلك عنايته بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة مقدماً له على آراء الرجال مهما كانت جلالة قائله، وقد صدق من قال فيه :

*تبع الدليل ولم يزل مترسماً * نهج الأئمة دون ما تقليدِ*

ولهذا خالف علماء الوقت في مسائل مشهورة، ومنهم شيخة سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله.

★ كما أن الشيخ حفظه الله ذو عناية بالأدب يتذوق الشعر ويستشهد به في خطبه ودروسه ومجالسه، وهو الذي نقل الخطابة (في الرياض) من الأسلوب القديم المعتاد حيث يلقي الخطيب خطب السنة من ديوان واحد بأسلوب مسجوع إلى أسلوب أدبي راق مشحون بالأدلة الشرعية من القرآن والسنة، وكلام أهل العلم يعالج فيه قضايا العصر منطلقاً من توحيد الله وتعظيمه والثناء عليه الذي هو مقصود الخطبة إلى ساحة الوعظ والتذكير بأيام الله وسننه... ولهذا كان الشيخ يقصد من أطراف الرياض لحضور خطبه المفيدة، كما كانت تنقل خُطَبُه في الإذاعة.

★ والشيخ حفظه الله ذو خلق رفيع وتواضع جم يعرف ذلك من زاره وجالسه، يصغي إلى المتكلم أياً كان مستواه العلمي ويجيب على سؤاله ولو كان ركيكاً، ذو كرم فريد في الخلق وبسط اليد واستقبال الزائرين والرد على أسئلة المستفتين عبر الهاتف، اجتماعي مع جميع طبقات المجتمع فإذا دُعي أجاب وإذا سُئل أعطى وإذا استُفتي أفتى، موطأ الكنف، وهو بحق من الذين يألفون ويؤلفون.

★ كما أن من خصال الشيخ النادرة في غيره صراحته ووضوحه في آرائه مما جعل له قبولاً في أوساط طلاب العلم فكثر محبوه، وصار يُقصد للاستفادة من آرائه واستشارته في كثير من المسائل والقضايا العصرية، وقد كتب بعض آرائه في المسائل المعاصرة مما ستراه مثبتاً في هذا المجموع ـ إن شاء الله ـ.

★ ومما يُذكر للشيخ ـ حفظه الله ـ خشوعه وبكاؤه يُلاحظ ذلك في أثناء خطبة الجمعة فقلَّ أن تسمع له خطبة إلا وتزينها عبراته التي تخالط كلماته.

تلاميذه:

تتلمذ على الشيخ كثير من شباب الصحوة المعاصرة عبر ما يسمعون منه في خطبه ودروسه ومحاضراته أو فتاويه، وقد رتب الشيخ حفظه الله دروساً علمية في ثلاثة أيام في الأسبوع السبت والاثنين بعد صلاة المغرب، وبعد صلاة الجمعة في الكتب التالية:

تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، الدين الخالص، مختصر الصواعق المرسلة، بلوغ المرام وشرحه سبل السلام، صحيح مسلم، اقتضاء الصراط المستقيم، وقريء عليه في تفسير ابن كثير، وزاد المعاد، وصحيح البخاري، وكتب كثيرة في فنون شتى...

ومن أبرز تلاميذه :

١ - معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية.

٢ - الدكتور حبيب زين العابدين وكيل وزارة الأشغال العامة والإسكان.

٣ - الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التويجري أستاذ مساعد بكلية أصول الدين قسم السنة.

٤ - الشيخ الدكتور حمد بن عبدالمحسن التويجري أستاذ مساعد بكلية أصول الدين قسم العقيدة.

٥ - الشيخ عبدالمحسن بن عبدالعزيز العسكر محاضر بكلية اللغة العربية جامعة الإمام.

٦ - الشيخ الدكتور بدر بن ناصر البدر أستاذ مساعد بكلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه.

٧ - الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالمحسن التركي.

٨ - الشيخ الدكتور ناصر بن محمد العبدالله أستاذ مساعد بكلية الملك فهد الأمنية.

٩ - الشيخ سعد بن محمد المهنا قاضي في القطيف.

١٠ - الشيخ سعد بن تركي الخثلان محاضر بكلية الشريعة بالرياض.

١١ - الشيخ علي بن إبراهيم اليحيى مشرف على مناهج المواد الشرعية بوزارة المعارف.

١٢ - الشيخ سلطان بن عبدالمحسن الخميس.

١٣ - الشيخ رجاء بن هلال الحارثي.

١٤ - الشيخ فهد بن عبدالرحمن الباز مدرس بمدرسة الخليج المتوسطة بالرياض

١٥ - كاتب هذه الأحرف المشرف التربوي بإدارة التعليم بالرياض.

١٦ - الشيخ ناصر بن عبدالمحسن العنيّق مدير مدرسة خبيب بن عدي لتحفيظ القرآن الكريم.

١٧ - الأخ ماجد بن محمد المرسال الحربي.

وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

آثـــاره:

١ - رسالة بعنوان: أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأمة.

٢ - رسالة بعنوان: وصايا للدعاة.

٣ - رسالة بعنوان: الوسط المطلوب.

٤ - ديوان خطب بعنوان: أحاديث الجمعة.

٥ - رسالة بعنوان: إلى خطباء الجمعة.

٦ - رسالة في تحرير مسألة رفع الإزار إلى نصف الساق.

٧ - رسالة في صفة قنوت النوازل.

٨ - رسالة في حكم نقل ماء زمزم.

٩ - رسالة في حكم تحديد المهور موجهة إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

١٠ - رسالة إلى العلماء بعنوان: إلى الموقعين عن رب العالمين.

١١ - رسالة في حكم رمي الجمار بالليل.

١٢ - رسالة في الاستسقاء.

١٣ - مقالات في بعض الصحف والمجلات.

١٤ - الدعوات الإصلاحية وأثرها في المجتمع.

هذا ولما للشيخ حفظه الله من الفضل علينا نحن معاشر طلابه فقد أحببت أن أقوم بعمل فيه بعض الشكر والمكافأة له جزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

فقمت بهذا الجهد المتواضع في جمع رسائله في هذا المجموع المبارك وسيتبعه - إن شاء الله - مجموع آخر في وقت لاحق.

*****

حين تجتمع الفضائل

دع عنك تذكار الهوى والغيد ... وذر التغني باللمى والجيد
واهجر طلول الأمس في سبخاتها ... ما نفع تذكار الطلول السود
وانهض إلى قمم الهدى واشهد بها ... معنى الخلود بفضلها المشهود
تجد العلوم خضمها متلاطماً ... لاسيما علم لدى ابن قعود
الفرد في علم الشريعة والتقى ... والبحر في الأحكام والتوحيد
والفذ في الخيرات فهو ربيبها ... وهو السها فينا ونجم سعود
هذا هو الشيخ المعمم بالهدى ... والمرتدي حلل السخا والجود
شيخ تواضع للأنام وإنه ... كالنجم يهدي في الليالي السود
يتزاحم الطلاب حول معينه ... شغفاً كأنهم بيوم العيد
يلقون ثمَّ معاني العلم التي ... تهدي لدرب واضح ورشيد
في سمته هدي وفي ألفاظه ... درر بلا ضعف ولا تعقيد
الآمر الداعي لكل فضيلة ... هو خير مكتسب لها ومفيد
تبع الدليل ولم يزل مترسماً ... نهج الأئمة دون ما تقليد
هز المنابر بالمواعظ لا يرى ... إلا الحقيقة زينت ببرود
لم يخش في الله العظيم ملامة ... يدعو لنهج في الحياة حميد
تقوى الإله تقوده في دربه ... وتهزه التقوى بصوت رعود
إن يتل آيات الكتاب تجد به ... ذل الخشوع لربه المعبود
تتحدر الدمعات من أجفانه ... فتراه في تقواه كالمعمود

إلى الموقعين عن رب العالمين

كتبت في ١٠/١٠/١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

فإلى إخوتي وأحبتي في الله، إلى من استشهد الله بهم على أجل وأعظم مشهود عليه توحيده الذي أنزل به كتبه، وأرسل به رسله، وخلق الثقلين ليعبدوه به، إلى من استشهد بهم على هذا الأمر، ولم يذكر لهم وصفاً غير وصفهم بالعلم؛ لأن المفترض في طالب العلم أن يكون على حال تؤهله للشهادة بالحق، وعلى الناس يوم يقوم الأشهاد لا لشهادة الناس عليه بالتقصير في البلاغ والبيان، إلى من تفرش لهم الملائكة أجنحتها، ويستغفر لهم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، إلى من أخذ عليهم العهد بالبيان وألا يشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، إلى من هم أعلم الناس بالله وبشرعه: ﴿**ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق**﴾ [سبا:٦]، ﴿**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**﴾ [المائدة:٨٣]، ﴿**أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى**﴾ [الرعد: ١٩]، إلى من هم أعلم الناس، وأدرك الناس لمدلول ومقتضى نصوص المراقبة، ومدلول ومقتضى نصوص إرادة الدنيا بعمل الآخرة كقوله سبحانه: ﴿**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فأحذروه**﴾ [البقرة:٢٣٥]،﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾ [غافر:١٩]، ﴿**وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور**﴾ [الملك:١٣]، وكقوله سبحانه: ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس في الآخرة إلا النار**﴾ [هود:١٥]، ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا**﴾ الإسراء:١٨]، ﴿**ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون**﴾ [البقرة:٤١-٤٢].

إلى هؤلاء أوجه تذكيري ونصحي لا لأني أديت واجباً؛ فأنا في مقدمة المقصرين وصغار طلبة العلم ولكن لتجربة مرت بي فقد حصل لي نصائح ممن هو أقل مني سناً وعلماً كان لها أثر في نفسي جزى الله من أسداها إليّ خيراً، وقديماً قيل: قد يكون في النهر ما ليس في البحر.

قال ﷺ: «رب مبلغ أوعى من سامع»[1].

وقال تعالى عن نبيه موسى أنه قال للخضر: ﴿**هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا**﴾ [الكهف:٦٦]، وأخص بتوجيه نصيحتي بعد تعميمها الذي هو الأصل ذوي الصلة القوية بالسلاطين والمترفين؛ فإن الافتتان حسب السنن أسرع إليهم منه إلى غيرهم بل إليهم أسرع من السيل إلى منحدره وقانا الله وإياهم شر الافتتان.

قال عليه الصلاة والسلام: «من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن» أي عرض نفسه للفتنة. صحيح الجامع (٦١٢٢)، كشف الخفا[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». حديث صحيح رواه أحمد والنسائي وغيرهما[3].

إلى هؤلاء وأمثالهم من المتسابقين إلى أعتاب المترفين والمبادرين بتأول أخطائهم[4] وتبرير وتأييد ما هو محل نظر من أفعالهم، وإلى من يسعون كثيراً مع

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحج حديث (١٧٤١)، الفتح (٣/ ٥٧٣)، ومسلم كتاب القسامة والمحاربين: النووي (١١/ ١٦٩).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الفتن: تحفة (٦/ ٥٣٢، ح ٢٣٥٧)، والنسائي في كتاب الصيد (٧/ ١٩٥)، باب اتباع الصيد، ورواه أبو داود وأحمد والبيهقي والطبراني. وانظر كشف الخفا (٢/ ٣٠٩، ٣٣٢).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠)، والترمذي في الزهد وصححه، تحفة رقم (٢٤٨٢)، ورواه النسائي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أي أخطاء المترفين.

عالم مصلح ليعدل عن عمل بر بدأه أو ليسكت عن منكر أنكره فإني أخاف على نفسي وعليهم في موقف ما من خطورة مخالفة ما استحفظهم الله إياه أمثال: ﴿**ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ [المائدة: ٢]، ﴿**رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين**﴾ [القصص: ١٧]، ﴿**إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما** ـ أي مخاصما ـ **واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا**﴾ [النساء: ١٠٥ـ١٠٩]، ﴿**واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك**﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين**﴾ [الجاثية: ١٨ـ١٩]، ﴿**ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم**﴾[محمد: ٢٦].

فيا علماء المسلمين الموقعين عن رب العالمين المفترض فيكم أن تكون أعمالكم وأقوالكم ومعاملاتكم مادية أو أدبية بياناً وتفسيراً وإظهاراً لشرع الله، أقول لكم مذكراً لا معلماً تنبهوا جيداً لما يصدر منكم من أقوال أو أفعال أو تقريرات حول الأمور العامة وما يطلبه ولاة الأمر خاصة، فقد يؤخذ عنكم أمر يصعب عليكم تداركه وتحقيق قول الله فيه: ﴿**إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا**﴾ [البقرة: ١٦٠]، فيما لو استبان لكم خطؤه بعد، فلا أخطر على الأمة أفراداً أو جماعات، حكاماً أو محكومين، من تأول أو تساهل أو زلة عالم وقانا الله وإياكم شرها، اذكروا في كل ما تأتون وما تذرون وخاصة في هذا الشأن موقفكم أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية، الذي أوجدكم وعلمكم لتكونوا شهداء على الناس بالبيان والبلاغ الحق يوم

يقوم الأشهاد يوم لا خلة ولا شفاعة، يوم يتبرء المتبوعون من التابعين، فلقد وُجدتم وعلمتم لتُتّبَعوا بعلمكم لا تتبعوا به، ولم يكن ذلك بالنسبة لكم محل اختيار، فأوامر الله تقتضيه، وما يهدد به تلاحم العلماء والتفاف الشباب حولهم يستدعيه، فلقد أدركت قوى الشر أن ذلك قوة تهدد مصالحها فأخذت تعمل جادة بأساليبها المتنوعة على خلخلة مكانة العلماء في النفوس أحياءً أو أمواتا لتفصل من استطاعت فصله عنهم كفصل عربات القطار عن غرفة قيادتها، مما يتطلب منكم تضييق المجال أمامها، ومواقف أسلافكم وتحفظاتهم معروفة لديكم ومن أقربها فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ وبالأخص ما هو موجه منها لولاة الأمر أو ما يتعلق بالتوحيد أو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ربط الله خير أولكم بآخركم وخير آخركم بأولكم وجعلني وإياكم خير خلف لخير سلف صدقوا ما عاهدوا الله عليه، نصيحة أخ مشفق على نفسه، وعليكم وعلى الأمة التي خيريتها وحياتها العادلة السالمة من الغلو والجفاء في التأصيل بكم في كل أمر من أمورها، أقر الله أعينكم بذلك وأبعدكم عن ضده مما أبرزه العلماء للعلماء تحذيراً لهم من الوقوع فيه.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ في شرحه لحديث: «ما ذئبان جائعان»: واعلم أن الحرص على الشرف يستلزم ضرراً عظيماً قبل وقوعه في السعي في أسبابه وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد.

وقد صنف أبو بكر الآجري[1] وكان من العلماء الربانيين في أوائل المائة الرابعة مصنفاً في أخلاق العلماء وآدابهم وهو من أجل ما صنّف في ذلك[2]، ومن تأمله علم منه طريقة السلف من العلماء والطريق التي حدثت بعدهم المخالفة لطريقتهم

(١) محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري توفي سنة ٣٦٠ هـ رحمه الله.

(٢) وهو مطبوع بتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري رحمه الله، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٣٩٨ هـ.

فوصف فيه عالم السوء بأوصاف طويلة منها أنه قال: وقد فتنه حب الدنيا الثناء والشرف والمنزلة عند أهل الدنيا يتجمل بالعلم كما تتجمل بالحلية الحسناء للدنيا. . . فتذلل للملوك وأتباعهم فخدمهم بنفسه وأكرمهم بماله وسكت عن قبيح ما ظهر له من الدخول في إيواناتهم وفي منازلهم من أفعالهم، ثم قد زين لهم كثيراً من قبيح فعلهم بتأوله الخطأ ليحسن موقعه عندهم فلما فعل هذا مدة طويلة واستحكم فيه الفساد ولّوه القضاء فذبحوه بغير سكين، فصارت لهم عليه منة عظيمة ووجب عليه شكرهم فآلم نفسه لئلا يغضبهم عليه فيعزلوه عن القضاء، ولم يلتفت إلى غضب مولاه الكريم. . إلى قوله عنه: فالويل لمن أورثه علمه هذه الأخلاق.

وهذا العلم هو الذي استعاذ منه النبي ﷺ. . . وكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع»[1] إلى قوله: هذا كله كلام الإمام أبي بكر الآجري ـ رحمه الله ـ وكان في أواخر الثلاثمائة، ولم يزل الفساد بعده متزايدا على ما ذكرناه أضعافا مضاعفة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال ـ رحمه الله ـ: أعني ـ ابن رجب ـ ومن دقيق آفات حب الشرف طلب الولايات والحرص عليها وهو باب غامض لا يعرفه إلا العلماء بالله العارفون به المحبون له الذين يعادون له من جهال خلقه المزاحمون لربوبيته وإلهيته مع حقارتهم وسقوط منزلتهم عند الله وعند خواص عباده العارفين به كما قال الحسن ـ رحمه الله ـ فيهم: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية في رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات. تحفة (٩/٤٥٣، ح٣٥٤٩)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، ورواه النسائي في كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من قلب لا يخشع (٨/ ٢٥٤).

وقال: ومن هذا الباب أيضا أنه يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويثنى عليه بها، ويطلب من الناس ذلك، ويتسبب في أذى من لا يجيبه إليه، وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح، وربما أظهر أمراً حسناً في الظاهر وأحب المدح عليه، وقصد به في الباطن شراً وفرح بتمويه ذلك وترويجه على الخلق وهذا يدخل في قوله تعالى: ﴿**لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**﴾ [آل عمران: ١٨٨].

فإن هذه الآية إنما نزلت فيمن هذه صفاته، وهذا الوصف ـ أعني طلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة على تركه ـ لا يصلح إلا الله وحده لا شريك له.

ومن هنا كان أئمة الهدى ينهون عن حمدهم على أعمالهم وما يصدر منهم من الإحسان إلى الخلق، ويأمرون بإضافة الحمد على ذلك لله وحده لا شريك له فإن النعم كلها منه.. اهـ.

وبهذا وأمثاله يتذكر طالب العلم أن قيمته في دنياه وأخراه في صيانة علمه وتقوى الله فيه، وبُعده به أن يشتري به ثمناً قليلاً وأنه كلما ابتعد عن المجالس التي لا يقول في أهلها قوله فيهم أمامهم كما يقولها فيهم إذا خرج من عندهم وابتعد كذلك عما تطوق به الرقاب وتخرس به الألسن من أعطيات خاصة به مادية أو أدبية، كلما كان أثبت لجأشه وأكثر لاحترامه وأدعى لقبول قوله، وإنه بفقدان ذلك يهون هواناً عظيماً أشبه بهوان اليد التي كانت ثمينه لما كانت أمينة ولما خانت هانت.

سمعت من مشايخنا أن ملكاً من ملوك مصر زار الأزهر يوم أن كان الأزهر أزهراً ووقف على حلقة شيخ ماد رجله، فلم يغير الشيخ من وضع رجله، ولا من وضع تلامذته، فوجد الملك عليه في نفسه وبعد فترة أرسل له نقوداً فأعادها الشيخ مع الرسول، وقال: قل له إن من لا يكف رجله لا يمد يده.

وأختم النصح بأنه إذا كان لطالب العلم في أي عصر أو مصر مكانة وصدارة حقة يؤدي فيها وبها واجب النصح الحقيقي المأخوذ به العهد فغشيان أبوابهم لنصحهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر أولى من البعد عنهم.

أما من لم يكن كذلك ففرٌّ منهم فراره من الأسد حفاظاً على نفسه من الافتتان﴿ **ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا** ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿ **ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ [آل عمران: ٥٣].

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه

*****

حكم رمي الجمار بالليل

كتبت في ذي الحجة سنة ١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن شبه المجيزين لرمي جمرات اليوم الحادي عشر في الليلة التالية له، وكذلك رمي جمرات اليوم الثاني عشر في الليلة التالية له هي ـ فيما يظهر لي ـ ما يلي:

١ - قولهم: إن الرسول ﷺ رمى نهاراً، ولم يحدد نهاية وقت الرمي[(١)].

٢ - عموم حديث البخاري أن رجلاً قال يوم العيد لرسول الله ﷺ: رميت بعد ما أمسيت فقال: «لا حرج»[(٢)].

٣ - قولهم: ليلة العاشر أتبعت باليوم الذي قبلها باعتبارها وقت وقوف بعرفة؛ فكذلك تتبع الليلة التالية للحادي عشر به باعتبارها وقت رمي، وكذلك التالية للثاني عشر.

٤ - حديث أنه عليه الصلاة والسلام رخص للرعاء أن يرموا ليلاً[(٣)].

---

(١) روى مسلم في صحيحه عن جابر: رمى رسول الله ﷺ الجمرة يوم النحر ضحى وأما بعد فإذا زالت الشمس، كتاب الحج، باب بيان وقت استحباب الرمي (٢/ ٩٤٥ ح ٣١٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحج، باب إذا رمى بعد ما أمسى أو حلق قبل أن يذبح ناسياً أو جاهلاً. عن ابن عباس رضي الله عنهما. رقم (١٧٣٥) الفتح (٣/ ٥٦٨).

(٣) رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد عن عطاء بن أبي رباح أنه سمعه يذكر أنه أرخص للرعاء أن يرموا بالليل، يقول في الزمان الأول. كتاب الحج، باب الرخصة في رمي الجمار (١/ ٤٠٩ ح ٢١٩).
ورواه البيهقي في سننه عن عطاء عن النبي ﷺ مرسلاً: باب الرخصة في أن يرعوا نهاراً ويرموا ليلاً إن شاءوا (٥/ ١٥١).
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ ... الحديث.
رواه الدارقطني (٢/ ٢٧٦ ح١٨٤). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في التلخيص (٢/ ٢٦٣): وإسناده ضعيف، وعن ابن عمر رضي الله عنهما رواه البزار (كشف) (٢/ ٣٢ ح ١١٣٩)، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في التلخيص: بإسناده حسن. ورواه البيهقي والحاكم. قال في ذيل سنن البيهقي: حديث ابن عمر في سنده مسلم بن خالد سكت عنه هنا وضعفه في أبواب التراويح.

٥ - عمومات نصوص التيسير ورفع الحرج.

والجواب عند من يرى أن الأصل في وقت رمي جمرات أيام التشريق انتهاؤه بغروب الشمس وهو الحق ما يلي:

١ - الأصل في العبادات التوقف حتى يقوم الدليل سواءً في إنشائها أو كيفيتها أو وقتها، فقياس الليلة التالية للحادي عشر وكذلك الليلة التالية للثاني عشر على ليلة العاشر لا يجوز فلا قياس في العبادات، والكل مجمعون على أن الليلة التالية للثالث عشر لا تتبعه.

٢ - الأصل في العبادات الأخذ بالحقائق والمسميات الشرعية كمسمى الصلاة، ومسمى الزكاة، ومسمى الوضوء والتيمم، ومسمى اليوم[١] كما هو معروف في الصيام وغيره من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لا بمجرد الألفاظ اللغوية فحسب.

٣ - أفعال الرسول ﷺ بيان لواجب مجمل في الحج، وما كان بياناً لواجب مجمل فهو واجب إلا ما خرج بدليل، وقد رمى عليه الصلاة والسلام يوم العيد ضحى[٢]، ورمى أيام التشريق بعد زوال الشمس، وإن ابن عمر رضي الله عنه المعروف بتحريه الذي جاء عنه كنا نتحين[٣]، روى عنه البيهقي قوله: من نسي أيام الجمار أو قال: رمي الجمار إلى الليل فلا يرم حتى تزول الشمس[٤]. ا هـ.

---

(١) قال في لسان العرب (٦/ ٤٩٧٤) ط دار المعارف: اليوم معروف، مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها، والجمع أيام....

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه البخاري. كتاب الحج، باب رمي الجمار (ح ١٧٤٦).

(٤) رواه البيهقي في السنن، كتاب الحج، باب تأخير الرمي عن وقته حتى يمسي (٥/ ١٥٠).

وقوله: من غربت له الشمس في أوسط أيام التشريق فلا ينفرن حتى يرمي الجمار من الغد[1].

٤ - حديث: «رميت بعدما أمسيت»[2] جاء في رمي جمرة العقبة يوم العيد لا في جمرات أيام التشريق على اختلاف في تفسير هذا المساء أهو ما بعد الزوال أو ما بعد الغروب إلى غياب الشفق أو هو إلى نصف الليل، والظاهر أنه في هذا الحديث ما بعد الزوال[3]؛ لقرائن الحال وسبق أن لا قياس في العبادات.

٥ - حديث أن الرسول ﷺ رخص للرعاء أن يرموا بالليل، وأية ساعة شاءوا من النهار: سنده[4] ضعيف، ولفظه فيه إطلاق يستوجب النظر وهو قوله أية ساعة، وعلى فرض صحته فهو يدل على أن الرمي نهاراً لا ليلاً لأن الرخصة يقابلها عزيمة.

٦ - دعوى أن الرسول ﷺ لم يحدد آخر وقت الرمي محل نظر؛ بل فيها تجاوز في القول والرأي بلا مستند؛ فالصحابة والمسلمون يعرفون مسمى اليوم، وفي قوله ﷺ: «ثم يرمون ليومين، ثم يرمون يوم النفر»[5]، وقول الله سبحانه: ﴿**فمن تعجل في يومين...**﴾ [البقرة:٢٠٣] ما يدل على مسمى اليوم الشرعي في الحج، ثم أيهما أقرب إلى الحق وأحوط في هذا الأمر أهو الذي يأخذ بالحقائق الشرعية ومسمى اليوم لغة وشرعاً ؟ أم الذي يمد وقت الرمي إلى نصف الليل أو إلى الفجر أو إلى غير حد بدون دليل على التمديد؟ وذا يلزم من تفوه بمقولته الجريئة: الرسول

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/٤٠٧ ح ٢١٤)، والبيهقي (٥/١٥٢)، وقال: وهو قول الحسن وجابر بن زيد والنخعي.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري (٣/٥٦٩): «رميت بعد ما أمسيت» أي بعد دخول المساء وهو يطلق على ما بعد الزوال إلى أن يشتد الظلام فلم يتعين لكون الرمي المذكور كان بالليل.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه أبو داود في المناسك (ح١٩٧٥)، والترمذي والنسائي وابن ماجه ومالك، وقال الألباني في الإرواء (ح١٠٨٠) صحيح.

ﷺ لم يحدد.

أما ما قيل من وجود زحام ومشقة تبيح الرمي ليلاً؛ فقد أجيب عنه في النقل الآتي، ولمزيد الفائدة أذكر للقاريء الكريم أن سماحة مفتي المملكة في وقته الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسماحة والدنا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعدداً من المشايخ رحم الله الجميع أحياءً وأمواتاً قرروا في مواجهتهم للشيخ عبدالله المحمود في فتواه[1] بجواز الرمي ليلاً أن وقت رمي الجمرات أيام التشريق ما بين الزوال إلى غروب الشمس[2]، وأن سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء في حياته رحمه الله كتب عندما تفوه بجواز الرمي ليلاً ما نصه: لا يجوز رمي الجمار ليلاً للأمور الآتية:

أولاً: لم يُنقل عن الرسول ﷺ أنه رمى ليلاً أو أقره وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه: «خذوا عني مناسككم»[3]، وما عرف الرمي قربة إلا بفعله ﷺ ولا شيء أحسن من التمسك بهديه والاقتداء بأفعاله والأخذ بما عليه سلف هذه الأمة وأئمتها الذين هم القدوة؛ فقد جرى عمل الصحابة رضوان الله عليهم في حجهم أنهم لا يرمون إلا نهاراً، والكثير منهم يحج في كل عام فما ثبت أن أحداً منهم رمى ليلاً.

ثانياً: ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: رمى رسول الله ﷺ يوم النحر ضحى، وأما بعد ذلك فإذا زالت الشمس[4]، ورميه ﷺ جمرة العقبة يوم النحر ضحى، وفي أيام التشريق بعد الزوال دليل على

---

(١) مجموعة رسائل الشيخ عبدالله بن محمود رحمه الله (١/ ٣، ٣٥)، وانظر تراجعه عن فتواه ورد الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في فتاواه (٦/ ٦٧).

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٦/ ٦٩).

(٣) رواه مسلم رقم (١٢٩٧)، وأبو داود رقم (١٩٧٠).

(٤) تقدم تخريجه.

الوجوب لأنه فعله ﷺ مشرعاً لأمته على وجه الامتثال والتفسير فكان حكمه حكم الأمر.. وهو داخل في عموم قوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم»

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح العمدة: والفعل إذا خرج مخرج الامتثال والتفسير كان حكمه حكم الأمر [1].

ثالثاً : ما رواه البيهقي في سننه عن ابن عمر رضي الله عنه: من نسي أيام الجمار أو قال رمي الجمار إلى الليل فلا يرم حتى تزول الشمس من الغد[2].

فهذا صريح من ابن عمر رضي الله عنهما بأن من نسي رمي الجمار إلى الليل أنه لا يرمي حتى تزول الشمس من الغد، ولو لم يكن في معلوم ابن عمر منع الرمي ليلاً لما قال: لا يرمي حتى تزول الشمس..

رابعاً : مما يدل على منع الرمي ليلاً ما رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد عن عطاء بن أبي رباح أنه سمعه يذكر أنه رخص للرعاء أن يرموا بالليل يقول في الزمن الأول[3]. والتعبير بالرخصة يقتضي أن مقابلها عزيمة وأن الإذن وقع للعلة المذكورة وإذا لم توجد أو ما في معناها لم يحصل..

ومثله ما رواه البيهقي في السنن والطحاوي في شرح معاني الآثار عن عطاء بن أبي رباح قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله ﷺ: «الراعي يرمي بالليل ويرعي بالنهار» [4].

---

(١) شرح العمدة (٢/ ٦٢٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى عن ابن عباس (٥/ ١٥١)، قال في ذيل السنن: حديث ابن عباس في سنده عمر بن قيس هو المكي ضعيف جداً.

خامساً : ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يسأل يوم النحر بمنى، فيقول: «لا حرج» فسأله رجل فقال: حلقت قبل أن أذبح قال: «اذبح ولا حرج» فقال: رميت بعدما أمسيت فقال: «لا حرج»[1].

فهذا صريح في وقوع الرمي نهاراً؛ فالمساء يقصد به ما بعد الزوال لأنه لغة العرب يسمون ما بعده مساء وعشاء ورواحاً كما في الموطأ عن القاسم بن محمد أنه قال: ما أدركت الناس إلا وهم يصلون الظهر بعشي[2]، وإنما يريد تأخيرها عن الوقت الذي في شدة الحر إلى وقت الإبراد، ولوقوع السؤال يوم النحر إذ لا يكون اليوم إلا قبل مغيب الشمس.

قال الموفق: ولأن القائل رميت بعدما أمسيت أشكل عليه رميه مساء بعد الزوال لعلمه أن النبي ﷺ رمى يوم النحر ضحى، وأن رميه لم يوافق زمن رمي النبي ﷺ فلهذا قال: رميت بعد ما أمسيت فاحتاج إلى أن يسأله بقوله: رميت بعد ما أمسيت. أي أن رميه وقع في آخر النهار، ورمي النبي ﷺ كان في أوله فقال له الرسول ﷺ: «ارم ولا حرج»، ولأن رمي الجمار عبادة نهارية أشبه بالصوم لا يقع ليلاً، وقد استمر عمل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم في اختصاص رميهم بالنهار، والخير والبركة في اتباع سبيلهم والاقتداء بآثارهم وعدم الخروج عما كانوا عليه رضوان الله عنهم أجمعين.

وهذا القول هو مذهب الإمام أحمد، ومذهب أهل الحديث، وقول طائفة من أصحاب أبي حنيفة، ومالك والشافعي، ودعوى وقوع المشقة وكثرة الزحام في الرمي لكثرة الوافدين يبيح الرمي ليلاً مردود بأن المشقة، وكثرة الزحام موجود في زمن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه مالك في الموطأ (١/ ٩ ح ١٢)، قال في القاموس المحيط (٤/ ٣٦٤): والعَشيُّ والعشيَّةُ: آخر النهار. وقال في النهاية (٣/ ٢٤٢): ما بعد الزوال إلى المغرب عشيٌّ. وقيل: العشي من زوال الشمس إلى الصباح.

النبي ﷺ، ومع هذا لم يرخص لهم في الرمي ليلاً، ولا في أيام التشريق قبل الزوال كما في حديث أم جندب رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً، فإذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف»[1]. والله أعلم.

وبالله التوفيق وصلى الله على عبده ورسوله محمد

★★★★★

(١) رواه أبو داود في المناسك، باب رمي الجمار (ح ١٩٦٦)، وابن ماجه وأحمد.
انظر منسك الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله، هداية الناسك إلى أهم المناسك، من مطبوعات وزارة العدل عام ١٤٠٢هـ صـ ٦٠ ـ ٦٢.

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل إلى الموضوع

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، أرسله الله هادياً وبشيراً ونذيراً ورسولاً إلى الناس أجمعين، فبلغ الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمة حتى لقي الله في الرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد [1] :

فيسرني أيها الإخوة المؤمنون أن ألتقي بكم في هذه الليلة وفي موضوع مهم للجميع، موضوع جاء به القرآن كما جاءت به السنة المطهرة ألا وهو موضوع :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في حياة الأمة

هذا الموضوع أيها الإخوة لم يعد خافياً أبداً على ذي لبّ، ولن يظل خافياً يوماً ما بإذن الله.

* فهو مهمة رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

* ومهمة اتباع الرسل من لدن بزغ فجر الإسلام؛ وبدأ التكليف على البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلته في جمعية الإصلاح في الكويت، وقد قامت دار العاصمة بطبعها سنة ١٤١١ هـ، وقد استفدت من هذه الطبعة في عزو الآيات وتخريج الأحاديث.

نعم، إنه مهمة الرسل الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، فوالله ما أنزلت الكتب ولا أرسلت الرسل إلا لهذ الأمر، وهو «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**».

* الأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله توحيد الله الذي خُلق الثقلان من أجله قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات: ٥٦].

* والنهي عن المنكر الذي أصله ورأسه الشرك بالله المضاد لتوحيد الله الذي خلق الله تعالى الثقلين من أجله.

* الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي رفعت به رايات الجهاد ونصر به دين الله، وارتفعت به كلمته، بل وسادت به دولته يوم أن كانت دولته.

يقول جلا وعلا في وصف رسالة نبينا محمد ﷺ، والتي هي إتمام لرسالات الرسل، وختم لها: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾ [الأعراف:١٥٧].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذا اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة؛ وأنا خاتم النبيين»[(١)].

والمعنى أنه متمم ومكمل وخاتم لرسالات المرسلين التي ترتكز على:

* الأمر بالمعروف، والذي في مقدمته توحيد الله.

* والنهي عن المنكر، الذي في مقدمته الشرك بالله.

---

(١) أخرجه البخاري [الفتح: ٦/ ٦٤٥ (٣٥٣٥)]، (٦١) كتاب المناقب (١٨) باب خاتم النبيين ﷺ.
وأخرجه مسلم برقم [٢٠ ـ ٢٣ (٢٢٨٦)]، (٤٣) كتاب الفضائل (٧) باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين.

وإن هذا الأمر العظيم والمهمة الكبرى التي هي في الأصل رسالة ومهمة وواجب صفوة وسادات وخيرة الأمم، رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام؛ هذه المهمة التي هي في الأصل وظيفة أولئكم القوم الذين أمرنا باتباعهم في مثل قول الله تعالى: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام: ٩٠].

* قد اختار الله تعالى أمة محمد ﷺ للقيام بها، اختارهم الله واصطفاهم واجتباهم لها، بمثل قوله جل وعلا: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس**﴾ [الحج: ٧٨].

وبمثل قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾ [البقرة: ١٤٣].

نعم أقول: اختارهم واجتباهم للقيام بهذه المهمة الكبرى العظيمة، ووصفهم بأرقى وأعظم وأجل وصف يؤهل بالقيام بمثل هذا العمل المهم، بالقيام بحمل أعظم دين وأكمل دين، وأيسر دين، وأجمع دين، أنزله الله تعالى على الأرض على نبيه محمد ﷺ ليدين به العباد جميعاً؛ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**﴾ [الأعراف: ١٥٨]

* ووصفهم سبحانه وتعالى بأوصاف راقية، تتلاءم مع المهمة العظيمة الكبرى، وتتناسب معها، يقول تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [آل عمران: ١١٠].

ويقول تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [التوبة: ٧١].

* وإن الله الذي وصفهم بهذه الأوصاف أمرهم أمر إيجاب، أمرهم بتأصيل هذه الأمور، وبترسيخها، وتقويتها في النفوس، وبالعمل على استمراريتها، وبقائها قائمة في واقع الأمة، بقوله تعالى: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف**﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وبقوله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وبقوله تعالى: ﴿**فاصدع بما تؤمر**﴾ [الحجر: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**﴾[الأنفال: ٣٩]

وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لن يبرح هذا الدين قائماً يُقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة» [(١)].

وفي مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتي يُقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرّهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك» [(٢)]، ورضي الله عن حسان بن ثابت القائل:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يُجب ... وقد لان منه جانب وخطابُ

فلما دعا والسيف صلت بكفه ... له أسلموا واستسلموا وأنابوا

فخيرية هذه الأمة مرتبط بمحافظتها على ما وصفت به، وبقيامها بما كلفت به من الله لا أن تدعي تلكم الأوصاف دعاوى وتقولها نظريات ـ مع الأسف ـ لا واقع لها في كثير من أعمالها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم [١٧٢ (١٩٢٢)] (٣٣) كتاب الإمارة (٥٣) باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي . . » الحديث.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٦ (١٩٢٤)] (٣٣) كتاب الإمارة (٥٣) باب قول النبي ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي . . » الحديث.

يقول الشاعر [1] :

لا درَّ درَّ امرىءٍ يطري أوائله ... فخراً ويطرق إن ساءلته ما هو؟

بشائر وإنذارات القرآن

أيها الإخوة :

إن الله جل وعلا الذي اصطفانا وأكرمنا أمة محمد، واجتبانا للقيام بهذا الأمر العظيم، والمهمة الكبرى قد بشّر وأنذر.

* أنذر الذين تخلوا عن هذا الأمر تخلياً كلياً أو جزئياً.

* وبشَّر الملتزمين له والقائمين به.

* أنذر المتخلين وما أكثرهم في الأمة، ولا سيما ـ مع الأسف ـ من مكّن الله لهم في الأرض من أصحاب السلطة، ولم يفوا بحق هذا التمكين، أنذرهم بمثل قوله جلّ وعلا: ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

وقوله تعالى ـ وهذا يهم العلماء ـ: ﴿**لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون**﴾ [المائدة: ٦٣].

---

(١) البيت للشاعر (محمود غنيم) من قصيدته المعروفة والتي مطلعها :

مالي وللنجم يرعاني وأرعاه ... أضحى كلانا يعاف الغمض جفناه

لا تحسبني محباً يشتكي وصباً ... أهون بما في سبيل الحب ألقاه

إني تذكرت والذكرى مؤرقة ... مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

أنىَّ اتجهت إلى الإسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

وروى ابن جرير عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما في القرآن آية هي أشد توبيخاً من هذه الآية» يعني قوله تعالى: ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون** ﴾[1].

وأنذرهم بمثل قوله تعالى: ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ [محمد: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾ [المائدة: ٥٤].

* وبشر الملتزمين لتلكم الأوصاف ـ وما أقلهم ـ بشرهم بمثل قوله جل وعلا: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنَّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ [النور: ٥٥]

وعلى رأس هذه الأعمال الصالحة، واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبشرهم بمثل قوله تعالى: ﴿ **ولينصرن الله من ينصره** ﴾ [الحج: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا** ﴾ [الحج: ٣٨].

وقوله تعالى: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ **فلما نسوا ما ذُكّروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذابٍ بئيسٍ بما كانوا يفسقون** ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

*****

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٤) من تفسير الآية (٦٣) من سورة المائدة. ط/ مكتبة دار التراث ـ مصر.

بشائر وإنذارات السنة

وكما جاء القرآن مبشراً ومنذراً وواصفاً تلكم الأوصاف، وحاثاً عليها فقد جاءت السنة الغراء بالبيعة به على كل مسلم.

جاءت بالبيعة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى عن عبادة بن الوليد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرةٍ علينا وأن لا ننازع الأمر أهله قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لومة لائم» [1].

* وروى الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف بعدهم خلوف[2] يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» [3].

---

(١) أخرجه البخاري [الفتح ١٣/ ٥ (٧٠٥٦)] (٩٢) كتاب الفتن، (٢) باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها»، وأيضاً (٩٣) كتاب الأحكام (٤٣) باب كيف يبايع الإمام الناس.

وأخرجه مسلم برقم [٤١, ٤٢ (١٧٠٩)] (٣٣) كتاب الإمارة (٨) باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمُها في المعصية.

(٢) خُلُوف: بضم الخاء، جمع خَلْف، يقول أهل اللغة: خَلَف كذا إذا جاء بعده، لكنها بالفتح (خَلَف): وهو الخالف بخير، وبالإسكان (خَلْف): وهو الخالف بشر. قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خَلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾.

(٣) أخرجه مسلم برقم [٨٠ (٥٠)] (١) كتاب الإيمان، (٢٠) باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. .الخ

* وروى الإمام مسلم أيضاً عن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد بريء، ومن أنكر فقد سلم»[1].

ولا يفهم أن درجة الكراهة أقوى من درجة الإنكار، فالبراءة هنا محمولة على من كره بقلبه إذا لم يكن له مجال في استعمال اللسان؛ ولا في استعمال اليد.

*****

(١) أخرجه مسلم برقم [٦٢ (١٨٥٤)] (٣٣) كتاب الإمارة (١٦) باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع ... الخ.

أهمية هذا الأمر

بعد هذا البيان من الكتاب والسنة، وبعد هذا التذكير والتنبيه اللذين نُذكّر بهما من جفوا في هذا الأمر، وننبه وننصح بهما من لديهم بقايا عسى أن يقوى ذلك في قلوبهم.

وبعد:

فإننا بهذه الآيات، وبهذه الأحاديث، وبهذه اللفتة، وبهذه الذكرى.

إنما ندعو علماء المسلمين، وشباب المسلمين ومفكريهم، والغيورين على مصالحهم، ممن يدركون فساد الوضع وخطورة الموقف، وضرورة الأخذ بالمبدأ القائل: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها».

* ندعوهم بأن ينفضوا الغبار، وبأن يتقوا الله، وبأن يخافوا الله، وبأن يهبوا ويرسلوها صيحة حق، ودعوة هُدى، إلى إصلاح ما أعوج من أمر المسلمين، وإلى إقامة ما فسد من أمر الأمة في مجال حكم أو تحاكم أو سلوك أو اعتقاد أو معاملة، أو صلة بغيرهم ممن ليسوا على دينهم.

* إننا ندعوهم أن يلبوا نداء الداعية، نداء الحق الذي يقول: ﴿**فلو لا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض**﴾ [هود:١١٦].

* نداء الحق العالم بما يترتب على القيام بهذا الأمر من نجاة وعزة وكرامة وعلوّ في الدنيا والآخرة، وطيب محيا وطيب ممات.

* وما يترتب على إهماله من هلكة وذل وهوان وتفرق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نداء من يقول: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما**

يحييكم ﴾ [الأنفال: ٢٤].

والذي به حياتنا أن نرجع إلى أصولنا، و أن نقوم بواجبنا وأن ننظر في تأريخ أسلافنا الذين قاموا بهذا الأمر، فنقتدي بهم خير اقتداء.

ثم قال تعالى: في آخر الآية: ﴿ **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ [الأنفال: ٢٤، ٢٥].

ويقول رسولنا ﷺ في مجال ندب المصلحين، ندب العارفين الشاعرين بخطورة الوضع، وتدهور الموقف، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[1].

* إن لم يأمر المصلحون بالمعروف !!

* إن لم ينتفضوا للإصلاح !!

* إن لم يقوموا بأمر الله هلكوا جميعاً .

أيها المسلم :

هذه تذكرة وموعظة بآثار هذا الأمر، وليعيها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ونأتي الآن على شيء من التفصيل في عناصر هذا الموضوع، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

***

(١) أخرجه البخاري [الفتح ٥/ ١٥٧ـ ٢٤٩٣] (٤٧) كتاب الشركة (٦) باب هل يقرع في القسمة؟ والاستهام فيه

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فرض كفاية.

ومعروف أن فرض العين هو الذي يتعين على كل شخص بعينه، كفرضية صلاة الجمعة.

وفرض الكفاية: هو الذي إذا قام به عدد يحصل بهم المقصود، سقط الإثم عن الباقين.

وهذا يعني أنه واجب عيني على الجميع، لكن إن قام به عدد يحصل به المقصود[1] برئت الذمة من الوجوب العيني، وبقي الندب لمن يقوم بهذا الأمر.

* ويناقش بعض العلماء أفضلية الواجب الكفائي، بأنه فاضل وأجره كثير؛ لأن العامل للواجب العيني أبرأ ذمة نفسه، أما من يقوم بالواجبات الكفائية فقد أبرأ ذمته وذمة غيره من الناس، وبهذا يكون الواجب الكفائي أفضل من الواجب العيني.

فالخلاصة:

أنه واجب كفائي، إذا قام به عدد تحصل بهم الكفاية سقط الإثم عن مجموعة المسلمين، وإلا فالواجب قائم عليهم بالنصوص التي سبق ذكرها، والأوامر الصريحة التي تأمر بهذا الأمر والقرآن والسنة الشريفة شاهدان بذلك في أكثر من موضع.

*****

(١) وأين المقصود اليوم في أي بلد نسأل الله العافية.

ما ينبغي أن يتحلى به
الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

أولاً : العلم :

يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، أن يكون عالماً بالشيء الذي يأمر به، وينهى عنه.

هذه الصفة لابد أن توجد قبل البدء في الأمر والنهي، يكون عالماً بما يأمر به من معروف، وينهى به عن منكر.

ولا يعني هذا أنه لا يأمر إلا عالم بكل شيء، أو طالب علم، المهم القضية التي ستنهى عنها على اعتبار أنها منكر أو ستأمر بها على اعتبار أنها معروف تكون قد عرفتها حتى تكون على بصيرة، وتكون ممن قال الله تعالى فيه: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة**﴾ [يوسف:١٠٨]، أي على علم وعلى هدى.

ومعلوم أن الغرض من هذا الأمر أن ينقذ الجاهل من جهله إلى العلم، والعاصي من عصيانه إلى الطاعة، وهذا لا يتم إلا بعلم.

وهذا العلم يجب أن يكون مستمداً من كتاب الله وسنة نبينا محمد ﷺ.

ثانياً الحلم :

يجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حليماً حتى لا يثور ويغضب عندما يجابه بشيء لا يرضيه أو لم يتوقعه؛ فيفسد أكثر مما يصلح، وحتى لا يثأر فيصبح الموضوع انتقاماً للنفس وتشفياً لا إنكاراً لرضى الله سبحانه وتعالى، ورغبة في تصحيح الأوضاع.

فلابد للداعية إلى الله أن يروِّض نفسه من قبل، يروّضها على أن تكون حليمة لو لطمت في أحد خديها لذات الله لأعطت الخد الثاني إذا علمت أنها لله وفي سبيل الله، فلابد أن يتحمل وأن يصبر وليعلم أن هذا العمل لله جل وعلا.

ثالثاً : الصبر :

الصبر على ما يناله، ولهذا وصفت هذه الأمة بالصبر، ودُعيت إليه، وأول ما أمر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بإبلاغ الرسالة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قول الله تعالى: ﴿ **يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر** ﴾ [المدثر: ١-٧].

يأمر الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ **قم فأنذر** ﴾، ثم يأمره سبحانه وتعالى بالصبر على ذلك؛ لأنه يعلم سبحانه أنه سيواجه بالابتلاء والامتحان.

ولذا يقول العلماء: إن الصبر ورد في القرآن في أكثر من تسعين موضعاً [(١)].

والله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل** ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فلابد للآمر بالمعروف و الناهي عن المنكر أن يروّض نفسه على الحلم، وعلى الصبر لو أصيب في ذات الله.

والصبر منزلة عالية كبيرة لا ينالها إلا من وفّق لها من الله سبحانه وتعالى، ولهذا جعل الله ثوابه بغير حساب؛ فقال تعالى: ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الزمر: ١٠].

#####

(١) تتبعتها في المعجم المفهرس فوجدتها وردت (١٠٣) مرات.

مراتب وجوب

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذه المراتب بينها لنا الرسول ﷺ في قوله: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

والخطاب هنا للجميع وكلمة (من) هنا في أول الحديث للعموم من العقلاء وتعم الصغير والكبير، والذكر والأنثى، وتعم أي واحد من أمة محمد ﷺ.

يقول العلماء: إنه يتعين إذا لم يعلم به إلا هو، منكر ما علمه أحد إلا أنت، فهنا يتعين عليك أنت وحدك باعتبارك أنت المختص الذي رأيته أن تنكره، ويصدق عليك قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً . . .» الحديث.

ومراتب وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من خلال الحديث هي:

* الإنكار باليد.
* الإنكار باللسان.
* الإنكار بالقلب.

* من يقوى على إنكار منكر باليد وأنكره باللسان ولم يمتثل المنكَر عليه، ولم يستعمل اليد يكون آثماً.

أما إذا لم يقدر على استعمال اليد، وأنكر باللسان فذاك واجبه، وقد قضى ما عليه وبرئت ذمته.

* من استطاع أن يقول قولاً في الخير في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، وسكت ولم ينكره باللسان يكون قد عطل ما أقدره الله عليه فيعتبر آثماً؛ لأنه أنكره بقلبه وهو يستطيع أن ينكره بلسانه.

فليحاسب المرء نفسه مع هذه المراتب، ويرى موقعه منها.

---

(١) أخرجه مسلم برقم [٧٨ (٤٩)] (١) كتاب الإيمان (٢٠) باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان . . الخ.

مراتب المنكر الذي ينكره المرء

* يختلف المنكر قوة وضعفاً، فتارة يكون من الشرك، وتارة يكون من المعاصي هذا من جانب.

* ومن جانب تفاوته في الأمر إذا وجد منكراً متفاوتاً فهنا يحكمه أو يدلنا على علاجه وإنكاره قوله عليه الصلاة والسلام: فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن فقال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب؛ فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

فإذا كان المنكر الذي أمامك درجات في حدّ ذاته؛ فابدأ بأكبره وأعظمه، ولنوضح ذلك بالمثال التالي:

لنفرض أن أمامك زانياً خماراً مشركاً؛ وتريد أن تنكر عليه[2]، فهنا تبدأ معه بما يصلح معتقده وينقي سريرته، ويثبت إيمانه، وبما يرده إلى التوحيد، فلو قال: لا إله إلا الله ودخل في الإسلام، جاء بها مستجمعاً لشروطها، ولم يرتكب مانعاً من موانع الاستفادة منها، وعنده ما عنده من الكبائر لو مات عند هذه الخطوة لكان من المسلمين، وكان من أهل الجنة، إن دخل النار طهر منها، وإن لم يدخلها وشمله

---

(١) أخرجه البخاري [الفتح ٣/ ٣٠٧ (١٣٩٥)] (٢٤) كتاب الزكاة (١) باب وجوب الزكاة.

وأخرجه مسلم برقم [٢٩ (١٩)] (١) كتاب الإيمان (٧) باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٢) والإنكار هنا هو الدعوة، والدعوة هي الإنكار، وإن قسمت اصطلاحاً.

قول الله تعالى: ﴿ **ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [النساء:٤٨].

إذن فلنبدأ في معالجة المنكر بأهمه وأعظمه، ولنتدرج تدرجاً تنازليًا لا تصاعدياً.

وأما مراتب إنكار المنكر من جانب آخر، فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أربع مراتب وهي:

المرتبة الأولى:

أن يغلب على ظنك أنك إذا أنكرت هذا المنكر أن يحل محله معروف.

المرتبة الثانية:

أن يغلب على ظنك أنك إذا أنكرت المنكر أن يخف المنكر.

المرتبة الثالثة:

أن يتساويا، أي بمعنى أنه قد يترك المنكر الذي هو واقع فيه، لكن ينتقل إلى منكر يساويه.

المرتبة الرابعة:

أن ينتقل من منكر إلى ما هو أشد وأنكى منه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

أما الأولان فمشروعان: يعني إذا كان إنكار المنكر يؤدي إلى إحلال معروف، أو يخفف المنكر فهذا لا يُختلف عليه.

وأما الثالثة: إذا تساويا: يعني إذا خرج من كبيرة أنكرتها عليه، ذهب وارتكب كبيرة مشابهة لها؛ فيقول رحمه الله: «أما هذا فمحل اجتهاد»، بمعنى أن الإنسان يجتهد، إن رأى المصلحة في الإنكار عليه أنكر، وإن رأى المصلحة في تركه فليتركه.

وأما الرابعة وهي الخطرة: وقد قال: «إذا رأيت من هو على منكر وأنكرت عليه وترك ما هو فيه لذهب وارتكب لما هو أشد منه».

ويضرب رحمه الله لهذا بمثال:

يقول: فلو أن رجلاً كان مغرماً بقراءة كتب الجنس والروايات والغرام ومنهمكاً في هذا الأمر، وعنده رغبة في القراءة والاطلاع، ولكنك إذا أنكرت عليه وترك هذا المنكر، انتقل إلى كتب الابتداع أو الإلحاد، أيهما أشد ضرراً يقول: «نتركه على كتب الجنس الصادر عن مرض الشهوة، لئلا ينتقل إلى كتب الابتداع والإلحاد الصادر عن مرض الشبهة».

ومعلوم أن مرض الشبهة أشد وأنكى من مرض الشهوة، فيقول رحمه الله تعالى: «مثل هذا دعه لا تنقله من سوء إلى ما هو أشد منه».

وينقل ابن القيم عن شيخه (شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى) ما نصه فيقول: «مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر؛ فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس»[1].

★★★★★

(١) إعلام الموقعين (٣/ ١٦).

هل يلزم من إنكار المنكر مظنة الاستجابة

بعض الناس يطرح سؤالاً مضمونه: هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروع على مستوى المراتب التي سبق ذكرها؟.

وهل يلزم من إنكار المنكر أن يغلب على ظنك الاستجابة أو لا يلزم؟.

نقول: لا، لأن الاستجابة أمر لله وليس لك ﴿**إن عليك إلا البلاغ**﴾، كما قال تعالى لنبيه ﷺ. عليك الأمر، وعليك النهي، عليك هداية الدلالة التي أمر الله رسوله ﷺ بها في قوله تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [الشورى: ٥٢]

فلا يلزم أن لا تأمر فلاناً بمعروف ولا تنهاه عن منكر إلا إذا غلب على ظنك أنه يستجيب، وهذا حجر عثرة في الدعوة إلى الله، وحجر عثرة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فأنت عليك العمل، وعليك هداية الدلالة، وعليك البلاغ، كما قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام.

أما كون المأمور أو المنهي يقبل أو لا يقبل فهذه من الأمور المنفية عنك وعن من هو أفضل منك، يقول تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ [القصص: ٥٦].

ولا ينبغي القول بمظنة الاستجابة؛ لأنه يعطل الدعوة إلى الله، ويعطل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ولكن لو قام اثنان بمنكرين وأحدهما يغلب على الظن استجابته، والآخر بضد ذلك ولا طاقة لك إلا بالإنكار على أحدهما فبداءتك بمن تُظنّ استجابته أولى وأحرى، وكذا لو كان بك طاقة على الإنكار عليهما، فابتداؤك بمن تظن استجابته خير وأجمل، لتقليل فاعلي المنكر، وإضعاف المنكر قبل الإنكار على من قد يشتد في البقاء على منكره.

هل يلزم من إنكار المنكر ألا يكون المنكِر مرتكبًا لذلك المنكر؟

رجل يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ فهل يلزم أن يكون في أمره بالمعروف قد امتثل، وفي نهيه عن المنكر قد انتهى؟ .

الصحيح أنه لا يلزمه ذلك.

فارتكابه للزنى مثلاً معصية كبرى، ونهيه عنها بجد وصدق، طاعة يدخل في ميزان حسناته.

* فارتكابه السوء معدود عليه في حساب السيئات.

* ونهيه الغير عن فعل هذه المعصية محسوب له عند ربنا في ميزان الحسنات.

قال الله تعالى في حق بني إسرائيل: ﴿**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**﴾ [المائدة:٧٩]. قال القرطبي في تفسيره: «وقال حذّاق من أهل العلم: وليس من شرط الناهي أن يكون سليماً عن معصية، بل ينهى العصاة بعضهم بعضاً». وقال بعض الأصوليين: «فُرِضَ على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضاً»، واستدلوا بهذه الآية، قالوا: لأن قوله: ﴿**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه**﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي»[1]. إلا أنه قد يتأكد الأمر عليه أكثر، لأنه عرف أن هذا منكر وارتكبه، ويقول للناس لا ترتكبوه، وعرف أن هذا معروف وتركه، ويقول للناس افعلوا، فليس ثمة شك في أن هذا نقص وأنه عيب، وليس خافياً أن من وسائل الاستجابة امتثال الآمر بما يأمر وانتهاؤه عما ينكر.

وفي مثله جاء قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ [الصف:٢، ٣].

والحاصل أنه يلزمه الأمر بالمعروف حتى وإن لم يمتثله، ويلزمه النهي عن المنكر وإن ارتكبه، ومن العار والعيب أن يبقى قوله مخالفاً لفعله.

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٣).

الأساليب التي تستعمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأساليب التي ينبغي أن تستعمل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى كثيرة وواسعة، منها: ما مر في كلامي مثل البداية بالأهم، ومثل توخي النفع بالأمر والنهي، وتغير الحال، وما إلى ذلك.

* إلا أنه ينبغي للمسلم أن يسبر الوقت الذي يعيش فيه، والحالة التي هو فيها، ومن سيواجه بالأمر بالمعروف، ويسبر حاله وتحمله فيما لو ضرب أن يعرف الوضع الذي يحيط به، ويعالج المنكر حسب الاستطاعة، وحسب الإمكان، فإن كان يحتاج لقوة فليستعمل القوة، وإن كان محتاجاً للتعريض استعمل التعريض.

وهذا موضوع واسع لكن المؤمن الذي يتحرى في هذه الأشياء ويجتهد في القيام بالحق يهديه الله إليه، قال تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكلما كان الإنسان هادياً، وكان متحبباً إلى الناس، وكان ملتزماً للخير كان ادعى لقبول قوله وأسمع.

* ومن الأساليب: اللين والتودّد يقول تعالى: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يُبيّن لنا الله سبحانه وتعالى أن اللين والتودّد في الدعوة، وفي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أمر مطلوب ما لم يكن فيه إهانة للعلم، وإهانة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

اللين مطلوب وقد مر معنا ما يدل على ذلك، وخير قدوة لنا في هذا المجال الرسول ﷺ فكان عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يُعالج المنكر بأسلوب يتلاءم مع الوضع الذي فيه المنكر.

ففي صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمّياه[1] ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني سكت فلما صلى رسول الله ﷺ؛ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما نهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، وهريقوا على بوله سجلاً من ماء ـ أو ذنوباً من ماء ـ فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين»[3]. وهذا لفظ البخاري.

وعند ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس، فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد، ولا تغفر لأحد معنا، فضحك رسول الله ﷺ، وقال: لقد احتظرت[4] واسعاً، ثم ولىّ حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج[5] يبول، فقال الأعرابي بعد أن فقه، فقام إليّ بأبي وأمي؛ فلم يؤنب ولم يسب، فقال: إن هذا المسجد لا يبال فيه، وإنما بني لذكر الله وللصلاة،

---

(١) والله أعلم أنه لم يعرف أن الكلام في الصلاة قد نسخ ونهي الناس عنه، لأنه في أول الإسلام كانوا يتكلمون في الصلاة فنهوا عن ذلك.

(٢) جزء من حديث رواه مسلم بطوله برقم [٣٣ (٥٣٧)] (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٦) باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من الإباحة.

(٣) أخرجه البخاري [الفتح: ١/ ٣٨٦ (٢٢٠)]، (١٤) كتاب الوضوء (٥٨) باب صبّ الماء على البول في المسجد.

(٤) احْتَظَرْتَ واسعاً: أي ضيقت واسعاً، والمعنى أنك ضيقت رحمة الله ومغفرته علينا فقط، وهي واسعة تسع كل عباده سبحانه وتعالى.

(٥) قال في النهاية (٣/ ٤٤٧): الفَشْج: تفريج ما بين الرجلين وهو دون التَّفَاجّ.

ثم أمر بسجل من ماء فأفرغ على بوله»[1].

فالآمر والناهي ينبغي أن يستعمل الأساليب التي فيها لين ورفق ورحمة لكي يحبه الناس، ويستمعوا لقوله، ولكي تنعطف قلوبهم إليه؛ لأنك تسعى لإصلاحهم ولمّ شملهم وتعليمهم وهدايتهم لا للشماتة بهم وتحقيرهم وفضحهم والسخرية منهم، وهذا ديدن الطبيب، فإنه لا ينتهر المريض بل يلين له القول حتى يقبل منه، ويستمع إليه.

* ومن الأساليب أن الأمر السري لا يجوز أن يعالج علناً بل يعالج سراً، لئلا يفشو المنكر، ولئلا يفتضح فاعله، وإذا كان ظاهراً فإنه يعالج علناً ولا حرج في ذلك؛ لأن صاحب المنكر هو الذي فضح نفسه، وأعلن البلاء على نفسه.

*****

(١) أخرجه ابن ماجه بهذا الفظ برقم (٥٢٩)، (١) كتاب الطهارة وسننها (٧٨) باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل. وأخرج مسلم بعض ألفاظه من حديث أنس بن مالك، برقم [١٠٠ (٢٨٥)] (٢) كتاب الطهارة (٣٠) باب وجوب غسل البول وغيره.. الخ.

المداهنة والمداراة

المداهنة:

يقول العلماء: في تعريفهـا: «المداهنة أن تسكت عما يجب عليك النطق به، أو أن تترك ما يجب عليك فعله لغرض دنيوي».

أما المداراة:

فهي أن تدرأ الشرّ عن الدعوة إلى الله، أو تدرأهـا عن نفسك في مجال الدعوة إلى الله[1].

فالأولى في أمر خاص، وهذه في أمر عام.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ما خلاصته:

الفرق بين المداراة والمداهنة:

إن المداراة: هي خفض الجناح للناس والرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفـعل، ولا سيما إذا احـتيج إلى تألفه، وهي من أخـلاق المؤمنين ومندوب إليها.

والمداهنة: وهي مأخوذة من الدهان، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه: كمعاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيـه من غير إنكار عليه، وهي محرمة منهي عنها[2].

---

(١) الدرر السنية (٧/ ٣٥ ، ٣٦).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤٢٨).

وقال ابن القيم في كتابه الروح: ما ملخصه :

والفرق بين المداراة والمداهنة :

أن المداراة: التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق، أو ترده عن الباطل.

والمداهنة : التلطف به لتقره على باطله، وتتركه على هواه.

فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق.

مثال ذلك: رجل به قرحة فجاءه الطبيب الرفيق فتعرف على حالها، ثم أخذ في تليينها حتى إذا نضجت بطها برفق وسهولة، فأخرج ما فيها ثم وضع عليها من الدواء ما يمنع الفساد ويقطع المادة، ثم تابع عليها المراهم المنبتة للحم، ثم ذرّ عليها ما ينشف الرطوبة، ثم شد عليها الرباط، ولم يزل حتى صلحت، فهذا المداري.

وأما المداهن فقال لصاحبها: لا بأس عليك منها، وهذه لا شيء! فاسترها عن العيون بخرقة ثم الْهُ عنها، وهذا لما رأى من جزعه من بَطِّها، فلم تزل مادتها تقوى وتستحكم حتى زادت موادها وعظم فسادها[1]، انتهى.

إذا كان الوضع يقتضي ألا تنكر باليد وتركت الإنكار باليد مداراة خشية أن تتضرر أو يتضرر من حولك هذا لا يكون فاعله مرتكباً منكراً.

ومما يدل على هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام جلس في مكة ثلاثة عشر عاماً بعد الرسالة يأتي للبيت ويطوف به، والأصنام معلقة ثلاثمائة وستون صنماً، ويصلي وهي أمامه، وكان ينكر باللسان، لكن لما لم يكن له قوة تحميه ولما كان استعمال اليد في ذلك الوقت يأتي بمردود أشد وأكثر بلاءً للإسلام والمسلمين ما استعمل القوة أبداً.

ولكنه لما عاد فاتحاً لها هل جاء بما يسميه بعض الناس في عصرنا سُنّة التدرج في إزالة المنكر أو سنة التصحيح أو سنة الوضع، أو ما إلى ذلك؟ بل أقبل عليها

(١) الروح لابن القيم صـ ٢٨١ .

بالقضيب يضربها وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾ [الإسراء: ٨١].

فالمداراة مرتبطة بالأمـر العام، بأمر الدعوة، بأمر إنكار المنـكر، بمصلحة الدعوة نفسها، ومصلحة إنكار المنكر نفسه، فإذا اقتضى الحال أن تسكت عن أمرما لأنك لو نطقت بإنكاره لجاءك ضرر أو انتقل الضـرر إلى دعوتك أو من حولك، فهنا تسكت مداراة ودرءاً للفتنة، لا مداهنة وتملقاً للباطل وأهله.

★★★★★

ما يترتب على الامتثال من خير
وعلى الإهمال من شر

الآثار المترتبة على امتثال الأوامر التي جاءت بالأمر بالمعروف أو على الإهمال له، لا أكرر القول فيها ولا أطيله، لكن في هذا الموضوع ما ختمت به الاستعراض قبل التفصيل من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾ [الأنفال: ٢٤].

فالاستجابة تجعلنا نحيا حياة طيبة، ونعز ونعلو على الأمم، ونُؤهل لحمل الرسالة وللشهادة على الناس يوم يقوم الأشهاد.

أما عدم الاستجابة فبضدها تتبين الأشياء.

وكذلك في الحديث الذي ختمت به مع الآية أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام: «مثل الواقع في حدود الله والقائم فيها . . . الحديث»[1].

* فهذه آثار إن قامت الأمة بهذا الأمر اقترن بقيامها العزة والكرامة والألفة، وضع ما شئت من الأوصاف الفاضلة.

* وإن لم يقوموا به فخذ ما لا يجوز أن يؤخذ ولا يرضى أن يوصف به من هوانٍ ومن ذلة.

وفي واقع المسلمين ما يشهد لهذا، فالأمة لما أن كانت أمة فعالة غزت القلوب قبل أن تغزو الأجسام كانت ذات صدارة، وذات قيادة، أما وقد أصبحت أقوالاً فارغة يتحدث أحدهم ويفتخر بأمورٍ هم عارون منها، يفتخرون بآباء وأفعال من مضى، وإذا سبرت حالهم على حال أولئك وجدتهم يناقضونها.

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٩٣).

وواقع المسلمين ـ وللأسف ـ في المجموع لا في الأفراد، ففي الأفراد من هم أعزة والحمد لله، وكرماء وأحبة لله يحسبون كذلك والله حسيبهم، أما في المجموعات فمع الأسف هم غثاء كغثاء السيل، والسبب أنهم تخلوا عن تلك المواصفات فاتصفوا بضدها.

* بعد أن كانوا أرقى الناس صاروا أحط الناس.

* بعد أن كانوا أعز الناس صاروا أذل الناس.

* بعد أن كانوا في المقدمة صاروا في المؤخرة.

* بعد أن كانوا رؤساء أصبحوا مرؤوسين.

* بعد أن كانوا أئمة أصبحوا مأمومين.

والله تعالى المسؤول أن يعيدهم إلى رشدهم، وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل، وأن يقيم لهذه الأمة من يأمر بالمعروف ابتغاء وجه الله، وينهى عن المنكر ابتغاء وجه الله، نرجو الله أن يولي عليهم خيارهم ممن يأمرون بالمعروف حقاً انطلاقاً من كتاب الله وسنة رسوله، وينهون عن المنكر انطلاقاً من كتاب الله وسنة رسوله.

وأخيراً ـ أرجو ألا يكون الأخير في هذه اللقاءات الخيرية ـ أنصح نفسي وأنصح الدعاة إلى الله، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالاحتساب والصبر ومواصلة الجهود ومخاطبة الناس على ضوء: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾. وقوله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾. أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد

★★★★★

أسئلة حول[1] موضوع المحاضرة

(١) هذه الأسئلة ألقيت على فضيلة الشيخ عقب المحاضرة نوردها هنا رجاء الانتفاع بها.

السؤال الأول :

هل يجوز للداعية أن يأخذ الموافقة من ولاة الأمر أو من الحكومة مثلاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

الله المستعان ـ مع الأسف ـ هذا السؤال منبعث من واقعنا المريض نحن المسلمين فالله تعالى يقول: ﴿ **ولتكن منكم** ﴾ ورسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا» فما الذي يربط الدعوة بولي الأمر؟ وما الذي يربط إنكار المنكر بولي الأمر؟.

أما الأمور الظاهرة فهذه يعالجها المختصون، ولكن الأمور الداخلية أو الأمور الفردية أو ما إلى ذلك فالمسلم يدعو إلى الله ممتثلاً أمر الله الذي يقول: ﴿ **وادع إلى ربك** ﴾، ويقول: ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا** ﴾ [فصلت: ٣٣].

فليتعامل مع الله ويدعو لولاة الأمور بالدعوات الصالحة وبالهداية لهم، وبأن يعدّل الله حالهم، ويصلحها أو يخلص المسلمين منهم، ويبدلهم بأفضل إن كان فيهم شر.

على كل حال إذا كان هناك تنظيمات ودعوة تستدعي أن يتصدر في منبر أو أن يتصدر في مؤتمر أو ما إلى ذلك، وهذا الأمر لا يصل إليه إلا عن طريق من يملك هذا الوضع، وله إشراف عليه، فلا بأس، ويكون هذا من باب التنظيم أما أصل الدعوة فلا إذن فيه، الإذن في الشكليات التي يملكونها كما وضحت ذلك.

السؤال الثاني :

هل تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة أم أن الواجب الاستمرار؟

الإجابة :

لا تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة، إلا إذا كان منكراً واحداً، ولم يتكرر ولم

يقع مرة ثانية، فالمطلوب المواصلة في الإنكار فيما تكرر أو جدَّ أو أصر عليه صاحبه، وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره... الحديث» عام يشمل من رآه أول مرة ومن تكررت رؤيته للمنكر.

السؤال الثالث:

كيف نأمر وننهى مرتكب المعصية إذا كان أباً أو أخاً أو عماً أو كبيراً؟

الإجابة:

المشروع أن يبدأ بالأقربين من عشيرته في الدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ويقول تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**﴾ [التحريم: ٦].

فالمؤمن يبدأ بمن حوله، ولا يجامل في أمره بالمعروف، أو نهيه عن المنكر مع قريب أو بعيد، فالله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿**كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به**﴾. [الأعراف: ٢].

وقد قال النبي ﷺ: «لا يمنعن الرجل هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه»[(١)].

وضرب الله في القرآن أمثلة لما يتعلق بالأبوة، ولما يتعلق بالنبوة، ولما يتعلق بالزوجة.

* اقرأوا قصة إبراهيم عليه السلام مع أقرب الناس إليه مع أبيه.
* وقصة نوح عليه السلام مع ابنه.
* وقصة امرأة فرعون مع زوجها وغيرها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٠)، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٠٠٧).

السؤال الرابع :

هل يلزمني لإنكار منكر أو لأمر بمعروف أن أعرف الدليل وإن كان ذلك المنكر واضحاً عندي؟

الإجابة :

على كل حال أنا أشرت إلى هذا فيما ينبغي أن يتحلى به الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، والداعية إلى الله يجب أن يكون على علم، وكلمة (على علم) تعني: أن عنده من الله فيه برهان؛ فتكون على علم بما تنكره، وتكون عارفاً لدين الله وعارفاً للدليل، بحيث لو نوقشت يكون عندك في هذا برهان.

أما أن تقول هذا منكر، وتسكت دون معرفة للدليل، ثم إذا سُئلت عن الدليل قلت: أنا ما أدري سمعت فلاناً يقول: إنه منكر؛ فأنكرت.

وقد يناقشك فاعل المنكر، وينقدك وخاصة إذا كان صاحب حجة، ويبين لك أنه معروف، فالعلم لابد منه والدليل أيضاً في مثل هذه الأمور التي يواجه بها الناس أرى أنه من الضروري معرفتها.

السؤال الخامس :

هل كتم الرسول ﷺ شيئاً من أمر الدين مداراة خوفاً على الدعوة ؟

الإجابة :

لا، فلقد أدى الأمانة خير أداء، وشهد الله له بالبلاغ.

قد يكون هناك من الأمور الخبرية ما أخبر به بعض الناس دون بعض خشية أن يفتتنوا وألا يتحملوا هذا الأمر أو إن كان وعداً يتكلوا عليه أو إن كان وعيداً أن ييأسوا من رحمة الله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «بينا أنا رديف النبي ﷺ

ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل فقال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يُعذِّبهم» [1].

وزاد مسلم في صحيحه: «قال: قلت: يارسول الله أفلا أبشر الناس، قال: لا تبشرهم فيتّكلوا»[2].

السؤال السادس:

هل يجوز المداراة في أمور المعتقد بقصد جمع كلمة المسلمين مع اختلاف عقائدهم ؟

الإجابة:

لا يجوز ذلك، واسمع قول الله تعالى: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾ [الممتحنة: ٤].

وقول تعالى: ﴿**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**﴾ [النحل: ١٢٣].

---

(١) أخرجه البخاري [الفتح١١/ ٣٤٥ (٦٥٠٠)]،(٨١) كتاب الرقاق، (٣٧) باب من جاهد نفسه في طاعة الله.
وأخرجه مسلم برقم (٤٩,٤٨ (٣٠)]، (١) كتاب الإيمان (١٠) باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٢) أخرجه مسلم برقم [٤٩ (٣٠)]، (١) كتاب الإيمان، (١٠) باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

السؤال السابع :

ما رأيكم بالعمل الجماعي في الدعوة لنصرة الدين ؟

الإجابة :

العمل الجماعي مطلوب، والله أثنى على المسلمين عموماً وندبهم أن يلتقوا وأن يجتمعوا، يقول تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ويقول تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ [المائدة: ٢].

السؤال الثامن :

هل يجوز الكذب والغش للوصول إلى المصلحة العامة في إنكار المنكر؟

الإجابة :

على كل حال أنا لا أرى أن ينكر منكر بارتكاب منكر.

والكذب لا يجوز إلا في حالات ثلاث: كما وردت في الحديث عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس»[1].

السؤال التاسع :

ما قولك في قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ [المائدة:١٠٥] ؟

الإجابة :

الآية تفيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله سبحانه: ﴿**آمنوا**﴾ وقوله: ﴿**إذا اهتديتم**﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٣٩)، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في إصلاح ذات البين.

فمقتضى الإيمان الحق والهداية المطلوبة ذلك.

وقد روى أحمد وأبو داود وغيرهما عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»[1].

وعند ابن ماجه بلفظ: «فعليك خويصة نفسك، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون بمثل عمله».

ويلاحظ أن فضل الصحابة مطلق، وأن هذا الفضل مقيد بالحالة المذكورة، والفضل المطلق أفضل من الفضل المقيد.

السؤال العاشر:

ما معنى قوله تعالى: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾ [فصلت: ٣٣].

الإجابة: المعنى: لا أحد أحسن كلاماً وطريقة وحالة ممن دعا الناس إلى طاعة الله وطاعة رسله، وذلك بتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، ونصح معرضهم، ومجادلة مبطلهم على ضوء ما سلف من قول الله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم (٤٠١٤)، (٣٦) كتاب الفتن (٢١) باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾.

وصايا للدعاة

﴿١﴾ ﴿٢﴾

وصايا للدعاة [1]

﴿ ١ ﴾

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وعلى أصحابه وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . . . وبعد :

فإن هذا الموضوع كل منا محتاج إليه، كل منا يحتاج إلى أن ينصح ويُنصح، وقبيل البيان بما نحتاجه من نصائح أحب أن أذكركم بأن مهمة الدعوة إلى الله مهمة كبرى، مهمة عظيمة، مهمة فاضلة، مهمة رُتِّبَ عليها من الأجر العظيم ما الله به عليم سبحانه وتعالى، ولذا اختار الله سبحانه وتعالى لها أفضل خلقه وأكرم البشر، اختار لها أكرم الخلق وأكرم البشر، اختار لها سادات الأمة وأئمة الأمة وفضلاء الأمة، اختار لها من هم على مستوى القيام بها، وفي مقدمتهم رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام، وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، فالمهمة عظمى وشرف لمن وفق لها، ولمن انتمى لها، ولمن أخذها فهي كما قلت وأقول وسيقال مهمة الرسل: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾. [الأنبياء: ٢٥].

فهي مهمة شاقة، وقلت: إن الله اختار لها أفضل خلقه وأكرمهم، فلا غرو أيها الإخوة أن يذكر شأنها وأن يرغب فيها وأن يتنافس المتنافسون في ميادينها طلباً لشرف الانتماء إليها والقيام بها.

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ في مدينة جدة، وقام الأخ وليد بن مازن النفوري بطبعها عام ١٤١٥هـ ومنه استفدت عزو الآيات وتخريج الأحاديث، فجزاه الله خيراً.

وانطلاقاً من أن المهمة عظمى وجزاءها عظيم وأن المختارين لها هم سادات الأمة، وهم فضلاء الأمة أذكركم بنصائح يحتاجها الدعاة ولا سيما في هذا العصر الحاضر، أذكر بها لا من أجل أنها تخفى عليهم، ولكن امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا آمنوا** ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

فوصفهم بالإيمان وأمرهم بالإيمان؛ فإنما هي ذكرى، وحسبي أن أكون مذكراً بهذه الأمور، ولما كان في عصرنا الحاضر القائمون عليها هم الشباب وفقهم الله، فإنني أخص بالتوجيه الشباب ولا غرو أن يقدم الأصاغر على الأكابر فهم قدموا أنفسهم والواقع قدمهم في هذا الميدان وصدّرهم في هذا الأمر، وأنزلهم هذه المنزلة، أنزل الشباب منزلة الدعاة، أنزلهم منزلة الأئمة، أنزلهم منزلة السادة، منزلة من اختير واجتبي واصطفي بالقيام بهذه المهمة المختارة المصطفاة المجتباة ليتناسق من يقوم بها مع شأنها ووضعها، وليتحمّل هذا الأمر العظيم من يصلح لحمله، ولا غرابة فالمهمة مهمة الشباب.

ففي مجال الإمامة تعرفون أن عمر بن سلمة أمّ قومه وهو ابن سبع أو ست سنين، وأن محمود بن الربيع في مجال التحمل قال: «عقلت من النبي ﷺ مَجَّةً مجَّها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين من دلو»[(١)]. وأن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني»[(٢)].

بمعنى أن من أكمل الخمس عشر سنة أصبح مكلفاً صالحاً للجهاد، صالحاً للقيام بالدعوة، صالحاً لتعليم العلم، ولتحمل العلم، ولا أقول هذا من باب إعجابي فقط! فأنا أعايشهم وأنا صغير بينهم وأعرف أخبارهم، فلقد قعد كثير من الشيوخ وقاموا،

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب: متى يصح سماع الصغير (٧٧).

(٢) رواه البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم رقم (٢٥٢١)، ورواه مسلم في كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ (١٨٦٨).

وركد كثير من الشيوخ وتحركوا ـ أعني الشباب ـ وسكت كثير من الناس عن منكر ما ونطقوا به، فلتعم أعين الذين يوغر صدورهم هذا الأمر، ولينظروا لتاريخنا ماذا كان لمثل هؤلاء الشباب في تاريخنا، وماذا قاموا به من دور، دور الدعاة، دور المجاهدين، دور تحمل العلم، وتعرفون أن رسول الله ﷺ عقد لواء لأسامة بن زيد مولى ابن مولى عقد له لواءً وسنّه كما قال المؤرخون ثماني عشر سنة، وفي هذا اللواء كثير من المهاجرين والأنصار، وأمّر عتّاب بن أسيد على مكة وعمره قرابة العشرين، فاستسمحكم إذا قلت: إن نصائحي للدعاة في هذه الوقفة بالدرجة الأولى للشباب الذين نحسبهم اليوم هم حملة الدعوة، وهم أمل الأمة، وهم الذين يرجى أن يقودوا الأمة إلى شاطيء النجاة، وهم الذين أتوسم في صلاحهم وواقعهم وتحركهم بداية في تحقيق وعد الله في قوله: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ [محمد:٣٨]، وفي قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ...**﴾ [المائدة: ٥٤].

★ نصائح وتوجيهات:

إنني أنصح هؤلاء الشباب وأؤكد نصحي نحوهم بأن يهتموا في دعوتهم وفي تحركهم وفي تعلمهم وفي أمرهم بالمعروف وفي نهيهم عن المنكر بأمور منها:

أولاً: بذل الجهد في تعميق الإيمان في النفوس؛ فكلما تأصل الإيمان في النفوس تعمّق وترسّخ واقتنع صاحبه به، أصبح إيمانه محركه ومقعده، أصبح إيمانه ملء سمعه وبصره، بل وأنس قلبه وقرت عينه إذا عمق هذا الإيمان، فأنصحهم أن يبذلوا الجهد بتلاوة كتاب الله، بقراءة سير أنبياء الله، بتأمل نصوص الوعد في هذه الأمور لعل الله أن يعمق هذا الإيمان في القلوب، فإذا تعمق وقر في القلوب واستقر فيها لن تزعزعه بإذن الله شبهة ولا شهوة، فسيواجه الأمر

مواجهة الجبال الصم التي تصد الرياح ولا تحركها الأعاصير، فأنصحهم أن يبذلوا جهدهم في هذا الأمر، وقد ابتدأت بالآية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمنوا**﴾ بمعنى قووا الإيمان، ورسخوا الإيمان، استقيموا على الإيمان، زيدوا الإيمان في النفوس فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

فأول نصيحة أقدمها وأذكّر بها أن يبذل المسلم، أن يبذل الشاب الذي هو الآن في مستقبل أمره وأمام فتن شهوات وشبهات وأمام أعداء، وأمام فتن باطنة وظاهرة أن يبذل جهده، والموفق من وفقه الله سبحانه وتعالى، ما على المرء إلا أن يبذل الجهد، لكنني أدعو إلى هذا الأمر، وتعرفون أن الله جل وعلا لما قسّم الناس ثلاثة أقسام: مؤمنين خلص، وكفار خلص، ومنافقين، بدأهم بصفات المؤمنين بقوله سبحانه: ﴿**الذين يؤمنون بالغيب**﴾ وختمها بقوله: ﴿**وهم بالآخرة هم يوقنون**﴾؛ فليبذل الإنسان متقياً الله، طائعاً لله، مستعيناً بما يقدر عليه من استماع وفعل ما يقوي إيمانه من طاعات، من مجالسة أخيار، من قراءة سير الصالحين وغير ذلك، يبذل الجهد والتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: التزام الداعية لما آمن به، التزامه لما وقر في قلبه، لما يدعو إليه، ليكن أول ممتثل لما يأمر به، وأول منتهٍ لما ينهى عنه، فإذا امتثل أمره، وأصبح بفعله وباستقامته التي أمر بها بقول الله: ﴿**فاستقم**﴾ أصبح كتلة كأنه قطعة من الإسلام، يرى الإسلام بجماله وجلاله وحسنه في تصرفاته ومعاملاته، إذا استقام والتزم، وبدأ بنفسه بالاستقامة والتزم ما يأمر به وما يدعو إليه عند ذلكم سيقبل قوله إن قبل وإلا فهو مأمور بأن يستقيم، ولكم سلف في هذا المجال منهم محمد عليه الصلاة والسلام وغيره، وقولة شعيب: ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**﴾ [هود: ٨٨]، وقولة صاحب ياسين: ﴿**اتبعوا من**

لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ [يس: ٢١].

فالالتزام يا إخوة هو إعطاء المدعو المأمور صورة حية من الإسلام لابد من هذا الأمر أولا، المقتنع بما يأمر به، المحب له، الممتزج بلحمه ودمه يكون هكذا، ثم هو أمرٌ يقدمه فهذا لابد منه، إذا قال قولاً أن يقول واقعه صدقت وبررت لا أن يقول لا صدقت ولا بررت.

لا تنه عن خُلُق وتأتي مثلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم

وقد قال بعض الدعاة: «المستقيم لو لم ينبض في الدعوة ببنت شفه لكان داعية بفعله»، ومعروف أن في هذا القدوة الحسنة، فمن كان ملتزماً مستقيماً وبادئاً بنفسه كان قدوة لغيره.

ثالثاً: أن يبتعد الداعية كل البعد عن إرادة الدنيا بعمله، فطريقة أنبياء الله كل منهم يقول: ﴿ **وما أسألكم عليه من أجر** ﴾ في عدة آيات. فإذا كان عنده القناعة في نفسه والرضا بما يدعو إليه ومحبته فلتكن مهمته ذلك الأمر، ولا أقصد أن أي داعية ما لا يأخذ رزقاً من بيت المال أو ما وضع لهذا الأمر، أنا أقول: في الدرجة الأولى وبينه وبين ربه في داخليته يجب أن يكون همه إصلاح الناس، وهمه الدعوة جاءه من ورائها شيء فذا خير، لم يأته من ورائها شيء فلا يطلبه، فإن أئمة الدعوة رحمهم الله ووفق من بقي على طريقهم وقبلهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عندهم في مجال أخذ الأجرة على الحج قالوا: «من أخذ ليحج جاز ومن حج ليأخذ لم يجز» من أخذ ليحج هدفه الأول الحج ويريد الحج وأخذ ما أخذ لتتاح له فرصة الحج ويستعين به في الحج والهدف الحج ليس الدريهمات، لكن من حج ليأخذ ما يترتب على هذا الأمر، هذا هو المشكل، وقال فيه شيخ الإسلام رحمه الله في معرض كلام له: ﴿ **ما له في الآخرة من خلاق** ﴾ نعوذ بالله.

فنصيحتي للمسلم أن يتعامل مع الله، وأن يرتبط بالله، وأن تكون جميع تحركاته في دعوته، في أمره، في نهيه، مع الله سبحانه وتعالى لا مع غيره رضي القوم أم لم يرضوا؛ فتكن كل حركة منه مع ربه سبحانه وتعالى، وإن يبدر منه ما قد يبدر فليعد إلى الله وليستغفر الله امتثالاً لقول الله: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم**﴾ [الأعراف: ١٩٩, ٢٠٠].

رابعاً: وهذا أمر مهم يجب أن تفتح الآذان له والصدور، لا لقولتي ولكن له نفسه، هو أن يعلم الداعية شيخاً أو شاباً، ذكراً أو أنثى أنه لابد له في دعوته من العلم الشرعي، فالعلم كما بوّبه البخاري رحمه الله في قوله: (باب العلم قبل القول والعلم)، وقول الله: ﴿**فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك**﴾ [محمد: ١٩]، والله جل وعلا يقول: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**﴾ [يوسف: ١٠٨].

والبصيرة هي العلم؛ فيجب على الداعية أو الآمر أو الناهي أن ينطلق بأمره ونهيه ببصيرة، بعلم شرعي، إذا قال هذا حلال وإذا عنده فيه من الله برهان، وإذا قال هذا حرام منكر، وإذا عنده من الله تعالى فيه برهان، والله جل وعلا يقول: ﴿**ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب**﴾ [النحل: ١١٦].

فالعلم يا إخوتي في الله، وكلكم تدركون شرف العلم من حيث هو علم، وفضل العلم ومكانة العلماء وما أثنى الله تعالى به على العلماء القرآن مليء بالآيات الدالة على هذا الفضل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾ [الرعد: ١٩]

وقال جل وعلا: ﴿**أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم**﴾ [الملك: ٢]، وقوله تعالى: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب**﴾ [الزمر: ٩].

فيا إخوتي: أكرر القول بضرورة التوجه لشبابنا الذين رغبوا ويجب أن يرغبوا في الدعوة إلى الله، وأيُّ مسلم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ورضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، فهو بهذا يكون قد انضم إلى جماعة الدعوة، وإلى جنود الله، بهذا الشهادة، وقد أصبح عضواً جندياً في هذا المجال ومطالباً ببذل الجهد، وبأن يحس بإحساس إخوانه، وأن يدعو إلى الله حسب استطاعته، وأن يأمر بالمعروف حسب استطاعته، وينهى عن المنكر حسب استطاعته، فكل مسلم مطلوب منه هذا الأمر على قدر ما أوتي من علم، ومن قدرة، ومن قوة، ومن بصيرة.

فيا إخوتي! يا شباب الإسلام تسلحوا لتقوية الإيمان في قلوبكم، وتسلحوا كذلك أيضاً لمحاربة وساوس الشيطان بإرادة الدنيا في قلوبكم إذا بدأتم الأعمال تسلحوا بالعلم الشرعي، وليس معناه أنني أريد من الشباب أن يقعدوا عن الدعوة أو عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يملئوا رؤوسهم بالعلم، أقول: هذا العلم مطلوب، ويجب أن يقدم في الدرجة الأولى، وأن يُستقى من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسول الله ﷺ، ومن هذين الأصلين، لا أن نأخذ يمنة ويسرة بما يشعبنا ويبلبل أفكارنا في هذا العصر الذي كله جدل وكله أخذ وعطاء؛ فلنستق من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، لا يظن أني أقصد الحجر على صغار السن، وقد أشدت بهم، ويجب أن يشاد بهم، فلقد كان لهم في الإسلام دور كبير في الدعوة إلى الله، ولهم اليوم الدور الكبير والحمد لله، نرجو الله أن يثبتهم، لا أقصد أن يقعدوا عن أمرهم، ولا عن

نهيهم، ولا عن دعوتهم حتى يملئوا أمخاخهم علماً، القصد أن النقطة التي سيدخلون فيها أن يعلموا أنها منكر إن كانت منكر، وإن كانت معروف أنها معروف، النقطة التي سينهون عنها يعرفون حكم الله فيها وإن جهلوا أشياء كثيرة من الشرع، وأن الأمر الذي يأمرون به عرفوا حكم الله تعالى فيه.

والحمد لله، يا إخوة في بلادنا معظم ما يدعى إليه، ويؤمر به، وينهى عنه معروف من دين الإسلام حكمه بالضرورة «بني الإسلام على خمس»[1] لا أحد منا يشك في أركان الإسلام، ودعوة من تخلف عن ركن منها أو نقصه إلى أن يستكمله.

«اجتنبوا السبع الموبقات»[2]، وأمثال هذا فما ينكر وما يدعى إليه من خير، وما ينهى عنه من شر هو في الغالب مما عرف من دين الإسلام بالضرورة، فلا يلزم من دعا أخاً له ليترك كبيرة من الكبائر أن يكون قد علم أموراً أخرى، الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «بلغوا عني ولو آية»[3].

ولقد كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يفدون عليه ويأخذون منه ما يأخذون وينصرفون على ما أخذوا لا بغيره، ينصرفون بما أخذوا وتعلموا دعاة إلى أهليهم بما عرفوا لا بما لم يعرفوا، لا يقعدون حتى يمتلئوا علماً، فالعلم العلم يا إخوة.

---

(١) رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في كتاب الإيمان، باب الإيمان رقم (٨)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام برقم (١٦).

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ برقم (٢٦١٥)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها برقم (٨٩).

(٣) رواه البخاري من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم (٣٢٧٤)، ورواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل (٢٦٦٩).

خامساً: ليعلم الداعية إلى الله أنه في وقت فيه مكابرة، وليعلم أن الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مواجهة لباطل أيّ باطل، كفرًا كان أو كبيرة من الكبائر، وإن واقع الناس كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**﴾ [يوسف:١٠٣]. وكما قال جل وعلا: ﴿**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله**﴾ [الأنعام:١١٦].

أقول: مواجهة الباطل والواقع هكذا، فالشر هو الغالب، مما يدعو حملة الدعوة والمنتمين للدعوة إلى الله أن يبذلوا الجهد لمواجهة هذه الأمور، وأن يتحسبوا لما يواجهون به، وأن يهيئوا أنفسهم لما قد يواجهون به، فلقد ووُجه من حملها من قبلهم من رسل الله عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم بإحسان ووُجِهوا بأشياء عظام من القتل والتشريد فما دونه، فعلى حملة الدعوة والمتشرفين بحملها القانعين بهذا، المختارين للقيام بها، والمصطفين للقيام بها أن يهيئوا نفوسهم لما قد يواجههم من هذا الباطل، ومن هذا الواقع المرير، ومن هذه المجتمعات التي تزج بفتن الشبهات وفتن الشهوات، يهيئوا أنفسهم بما يعينهم على تحمل هذا الأمر، وبما يعينهم على تحمل ما قد يبتلون به في مسيرتهم وفي دعوتهم، ومن ذلكم في الدرجة الأولى بعد التحصن بتقوية الإيمان وبالبعد عن إرادة الدنيا وبالعلم الذي يجعلك تمشي على هدى وبصيرة، بعد هذا تصبر على ما قد يواجهك، روّض نفسك، هيئها.. لا تهيئها لتكرم إكراماً مادياً، أنت مكرم من الله سبحانه وتعالى، وهيئها لمواجهة ما قد تبتلى به من هذه الأمور.

لذا يا إخوة نجد أن أول سورة نزلت برسالة محمد ﷺ، وبأمره بالدعوة إلى الله وبالبلاغ جاء فيها الصبر يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر**﴾ [المدثر:١، ٢] هذه السورة التي أرسل بها نبينا محمد ﷺ جاء فيها:

﴿ ولربك فاصبر ﴾ [المدثر: ٧].

فالله يعلم جل وعلا بعلمه الأزلي أن هذا النوع من الناس من اختارهم واصطفاهم واجتباهم لهذا الأمر العظيم المهم أنه سيواجههم ما يواجههم من أهل الباطل، ومن أهل الضلال كفار أو فساق مسلمين، فأمرهم بالصبر، الصبر إذا ابتليت من قريب أو بعيد يقول الإمام أحمد: «إن الصبر ورد في القرآن في قرابة تسعين موضعًا» لحاجة الناس إليه وبالأخص الدعاة.

سادساً: وهذا الأمر أوصي به إخوتي الدعاة وخاصة الشباب لأنني أعرف أن الشباب قد يكون منه من الحرارة، وقد يكون فيه من قلة التجارب، قد يكون عندهم ما يجعلهم يستعجلون أو ما يجعلهم يتحمسون، فنصيحتي لهم الأناءة الأناءة، التثبت التثبت، الحكمة الحكمة، وليست الحكمة حكمة الذين يجعلون الصمت عن المنكر حكمة، ويجعلون قول الباطل في موقف ما حكمة، ولكن نقصد الحكمة التي هي وضع الأشياء في مواضعها فأنصحهم بالتثبت، ولا سيما فيما يتعلق بالغير، فيما يتعلق بالحكم على الآخرين بتفسيق أقوام، أو بتكفير أقوام، ولا سيما من المسلمين، ولا سيما من الدعاة إلى الله ومن طلبة العلم أحياء أو أموتاً، أنصحهم أن يتأنوا وأن يتثبتوا وأن يشغلوا أنفسهم بالعلم النافع، وبالدعوة إلى الله ببيان المنهج السليم فيها، والتثبت فيما ينقلون أو يُنقل لهم، وأن لا يجرحوا إخوانهم من الدعاة ومن المشتغلين بالدعوة إلى الله، فهذه من الفتن التي ابتلي بها مجتمعنا اليوم، ابتلي شبابنا، وابتليت مجتمعاتنا، مع الأسف من منسوبين للعلم وللاعتقاد السليم وللدعوة إلى الله، ابتلوا بما يجعل بعضهم ينهش بعضاً، ولاشك أن مثل هذا الأمر خطر على الدعوة إلى الله، وخطر على تماسك المسلمين، وخطر أيضاً على شباب المسلمين، فلا يجوز لمسلم أن يعطي أعداء الإسلام حججاً على أولياء الله بحسن نية أو بغير حسن نية.

فالنصيحة لكم يا إخوة أن تتـذكروا أن عرض أخيك المسلم مـثل عرضك يجب أن يحترم ولا سـيما إذا كان ذا قدم في الإسلام، أو قـدم في الدعوة، أو قدم في العقيـدة، أو قدم في المشاركة، وأن عقـيدة السلف الصحيـحة أن الإيمان يزيد وينقص، هب أنك فـهمت أن فيه نقصـاً، نقصاً في إيمانه، فـالله وضع الأمر أمامنا واسـعاً والحمد لله، الإيمـان يزيد وينقص، لكن مع الأسف لو تتـبعت مسارات هذه الأمور التي قلَّ أن يستفيد منها إلا أعداء الجميع.

أقول: أعداء الجميع لخبرتي المحدودة، ولما عاصرته وقرأته قديماً وحديثاً من أن الأعداء ينتفعـون من ضرب الشباب بعضهم لبعض، أو أن هنـاك أصابع خفية تسلط بعض الشباب على بعض، فأنا أحذر من هذا، وأنصح بالإعراض ما لم يكن الأمر الذي تتحدث فيه مع مبتدع، مع عاملٍ أمرًا ينقله عن أصل الإيمان، ويخرجه من الملة، أما أن تقول يقـال عن فلان، ويقال عن فلان، فلاشك أن هذا ليس من عقـيدة أهل السنة والجماعـة أبداً، وإنما من عقيدتهـم أن يفرحوا بالخير للمسلم، وأن يغضوا عن شره إذا كـان مقصوراً عليه، وأن لا يشهروا به ميتاً ولا حيـاً، وأن يتجهوا إلى ما ينفعهم وينـفع دعوتهم، أقول هذا عن علم فأنا عشت في سنوات مـضت أموراً من هذا النوع مع كثير ممن نحـسبهم دعاة والله حسيـبهم، ونحسبهم علمـاء، ونحسبهم أهل فضل وخـير وهم كذلك، ولكنهم أقولها صريحة في تقييمي المحدود قسمان:

القسم الأول: اجتـهاد منه وتحري واندفـاع وطبيعـة وجبلة، لكن لم يـدر أنه بهذا يحارب الأخيار من خندق أعداء الله وهو لا يدري.

القسم الثاني: قد يكونوا ممن يدور حولهم شبهات أنهم مـدفوعون لتفتيت الشباب، ولتفرقة الشباب.

فعلى كل حال المـسلم أخو المسلم، والله سبحانـه وتعالى يقول: ﴿**والمؤمنون**

والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١]، وقال جل وعلا: ﴿**إنما المؤمنون إخوة﴾** [الحجرات: ١٠].

فمقتضى الأخوة، ومقتضى الولاية، ومقتضى ذلكم أن يحترم المسلم أخاه، ولاسيما إن كان عالماً، وأن يكف عن بعض مساويه.

ففي بلادنا والحمد لله لا نزال على خير، والكفر البواح لم يظهر، إن كان في البواطن فهذا إلى الله، لكن البدع الكفرية والكفر البواح ما ظهر علناً الآن، لكن الاختلاف والتضارب إما في أسلوب دعوة أو في الأمور الفرعية، وأنا أقدر الفرعيات ولا أتغاضى عنها لكن ما يجوز إذا اختلفت أنا وأنت على تصحيح حديث أو تضعيفه أن تنال مني، أو أن هذا الأمر راجح وأنت تقول مرجوح أن تنال مني، يجب أن تحترمني وأنا أحترمك، وأن تعتذر لي وأنا أعتذر لك في مثل هذه الأمور لا في المكفرات ولا في الناقلات عن هذا الأمر أصل الإيمان.

سابعاً: وصية للدعاة أحس أنهم محتاجون لها، وهي أن الكثير من الدعاة وفقهم الله وخاصة الشباب يشكون أنه ما استجيب لهم، دعوا، علموا، قاموا، ما وجدوا أثراً من هذه الآثار.

فأنا أقول: يا إخوة: أنتم مأمورون بالدعوة إلى الله، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالبلاغ، بالتعليم، عليكم هداية البيان والإيضاح للناس، أما هداية الإلهام والتوفيق هذه الله جل وعلا نفاها عن أكرم خلقه بقوله: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾** [القصص: ٥٦].

فعلى من دعا وأمر ونهى وقضى عمره في هذه الأمور، ولم يحس أنه استجيب له ولا له أثر، ليطمئن أن عمله محسوب عند ربه سبحانه وتعالى لا يجوز أن يضيق صدره، ولا أن يحزن إلا حزن رثى لأولئك يرجو أن يهديهم

الله لكن لا يضيق صدره، الله جل وعلا يقول لنبيه: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون**﴾ [النحل: ١٢٥- ١٢٧]، وقوله جل شأنه: ﴿**فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا**﴾ [الكهف: ٦].

فالمؤمن يبذل الجهد، يبذل السبب وأمر التوفيق إلى الله سبحانه وتعالى.

ثامناً: وصية إلى الشباب أن يعرفوا أن من أساليب القبول، ومن أساليب الاستجابة: الإحسان إلى المدعو أو المأمور أو المنهي إذا أمكن، وإيثاره بشيء من المباحات إذا أمكن، فالإحسان كثيراً ما يستعبد الإنسان، قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

فالإحسان يطوق الرقاب، فأنا أنصح شبابنا في دعوتهم في بيوت أهليهم، وفي بيوت أقاربهم أن يبدأوا بالإحسان، يحسن إليهم، يهدي إليهم ما استطاع من المباحات، يتعامل معهم حتى يصبح له معهم قدم وكلمة، ويصبح ملء نفوسهم أو في نفوسهم، فإذا وصل إلى هذا فليدعهم وليصبر على دعوتهم ولا يحزن عليهم.

★ خاتمة:

أحبتي في الله..

ليس في الوجود أفضل من الدعوة إلى الله، ولا أشرف منها، ولا أعلى منها منزلة، والله جل وعلا يقول: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾ [فصلت: ٣٣].

فالدعوة التي اصطفى الله لها من يقوم بها انضموا إلى أهلها اصطفاهم الله واجتباهم، فابذلوا الجهد أن تنضموا إليهم، وأن تقوموا بهذا الواجب، وأن تتحركوا به لعلكم أن تشرفوا بشرفه، ولعلكم أن تحظوا بجزاء أهله، استنتج بعض العلماء من قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾ [النساء:٦٩]، أنه لما توحد عمل المسلم في آخر الدنيا أو في وسطها التقى عمله الذي يقوم به مع علم الأنبياء لما كان عمله في الدنيا أو ما قام به في الدنيا نوعاً من دعوة الأنبياء كان جزاؤه أيضاً من جنس جزائهم ﴿**ذلك الفضل من الله**﴾.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يستعملنا وإياكم في الدعوة إليه على بصيرة، وبصدق وإخلاص، نرجو الله أن يحيينا لهذا الأمر وأن يتوفانا في سبيله ومن ذرياتنا إنه تعالى حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد

*****

وصايا للدعاة [1]

﴿ ٢ ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد :

فأوصيكم إخواني في الله دعاة وشباب الإسلام بتأمل أمور منها ما يأتي:

أولا : تعلمون وفقكم الله أن الله سمّاكم المسلمين وامتن بهذه التسمية بل وأمر ووصى بها، قال تعالى: ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين** ﴾ [الحج:٧٨]، وقال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [آل عمران:١٠٢]، وقال: ﴿ **ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [البقرة:١٣٢].

وكانت هذه التسمية هي السمة والعلامة لأمة الاستجابة التي لم تبدل ولم تغير بل ومحل الاعتزاز، ففي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول ﷺ لقي ركباً بالروحاء فقال: من القوم؟ قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: رسول الله.. فرفعت امرأة صبياً فقالت: ألهذا حجٌ ؟ قال: «نعم ولك أجر»[2]، وإن مسمى دين هذه الأمة، الإسلام، الإيمان، الإحسان، وأنه يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، وأن أهله يتفاوتون فيه وشعبه تتفاوت كذلك، قال تعالى: ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات:١٣]، وقال: ﴿ **لا**

---

(١) نقلاً عن مجلة البيان العدد (٦١) صـ ١٥ وما بعدها، وقد قام الأخ وليد النفوري بطبعها عام ١٤١٥هـ، ومنه استفدت عزو الآيات وتخريج الأحاديث، فجزاه الله خيراً.

(٢) رواه مسلم من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في كتاب الحج، باب صحة حج الصبي، وأجر من حج به رقم (١٣٣٦)، ورواه أبو داود في كتاب المناسك، باب في الصبي يحج (١٧٣٦).

يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ﴾ [النساء: ٩٥]، وقال: ﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى** ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[(١)]، وقال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»[(٢)]، وقال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذين لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[(٣)]، ونصوص زيادة الإيمان بالطاعات ونقصانه بالعصيان معروفة، ومعروف مذهب السلف الصالح في ذلك فمسماه يشمل كل من أظهر الإسلام، ولم يرتكب ما يناقضه وينقل عن أصله، قال عليه الصلاة والسلام: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة رقم (٣٠٨٣)، ورواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يُرى الكوكب في السماء (٢٨٣١).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله (٢٦٦٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما برقم (٥٠٢٢)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٤٠٣٢)، ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥٠٧)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٢٩) (٦٦٥١).

الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته»[1].

فمن هذا ظاهره يندرج في مسمى المسلمين، مسمى أهل الملة، مسمى أهل القبلة، مسمى جماعة المسلمين في الجملة، أما الفرقة الناجية فقد فسرها عليه الصلاة والسلام بقوله: «ما أنا عليه وأصحابي»[2]، وأن مذهب السلف في عصاة أهل القبلة أنهم يحبون لما فيهم من طاعات، ويبغضون لما فيهم من عصيان، وأنه يجتمع في قلب الشخص الواحد من المسلمين الحب والبغض في آن واحد لعصاة المسلمين، وأنهم أي السلف الصالح رضوان الله عليهم يرجون للمحسنين من أمة محمد، ويخافون على المسيئين منهم، ولا يكفرون أحداً من المسلمين بكل ذنب فعله ما لم يستحله، ويبقى فيهم مع تفاوتهم في الإيمان وارتكاب بعضهم لشيء من العصيان الذي لا ينقل عن الملة التحاب على ما ذكر والتراحم والتعاطف والاحترام المتبادل وفق منهاج الله.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله: «ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه؛ كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة فإن الله تعالى قال: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**﴾ البقرة: ٢٨٥].

وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم[3].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في أبواب القبلة، باب فضل استقبال القبلة (٣٨٤)

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة برقم (٢٦٤١)، وحسنه الشيخ الألباني حفظه الله في صحيح الجامع (٢/ ٩٤٤)، (٥٣٤٣).

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق (١٢٥).

فليتأمل المسمى المذكور للمسلمين والنقل المذكور عن شيخ الإسلام رحمه الله وأمثاله من يحرجون غيرهم من شباب المسلمين بالقول له: هل أنت كذا أو كذا؟ فينبغي لمن ووجه أو قوبل بهذا القول أن يقول: أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام رحمه الله في استنكاره لمثل هذا السؤال: وروينا عن معاوية بن أبي سفيان أنه سأل عبدالله بن عباس رضي الله عنهم فقال: أنت على ملة علي أو ملة عثمان؟ فقال: لست على ملة علي ولا على ملة عثمان، بل أنا على ملة رسول الله ﷺ.

ثانياً: من المعلوم البدهي أن الدعوة إلى توحيد الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله لن تتحقق على الوجه المطلوب ما لم يزل من وجهها ما تأصل في بعض النفوس الخبيثة من الشرك الأكبر المناقض لتوحيد الله ولما أمر الله به من الكفر بالجبت والطاغوت الذي بدونه ـ أي الكفر بالجبت والطاغوت ـ لا يتحقق معنى (لا إله إلا الله) في النفوس ولا في الواقع وإن نطق بها لفظاً، فغير خاف أن الفترة الزمنية التي قضاها رسول الله ﷺ في مكة يدعو فيها إلى توحيد الله كان يغشى الناس في مجامعهم ومواسمهم التماساً لمن ينصره ويحميه ليدعو إلى ذلك بالفعل مع من لم ينفع معه القول، ونتج عن ذلك بيعته في موسم الحج لعدد من الأنصار رضي الله عنهم تلتها هجرته إلى المدينة ليقيم بها دولة ومعسكر الإسلام الذي بوجوده تنفذ أحكام الله وتقام حدوده وتحمى دعوته، وفعلاً لما دخل مكة فاتحاً اتجه إلى الأصنام المعلقة بالكعبة التي كان يدعو بالقول إلى نبذها وأمثالها وعبادة الله وحده يكسرها ويقرأ قول الله: ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾ [الإسراء: ٨١]، ويسلم بعد كثير ممن كانوا ممتنعين عن الإسلام، ورضي الله عن حسان بن ثابت فقد روي عنه أنه قال:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب وقد لان منه جانب وخطاب

فلما دعا والسيف صلت بكفـــه له أسلموا واستسلموا وأنابوا

وقال قبل ذلكم خير قائل وأصدق قائل: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب**﴾ [الحديد: ٢٥].

ولاشك أن ذكر إنزال الحديد بعد ذكر إرسال الرسل وإنزال الكتب والميزان الذي هو العدل يفهم منه أن من لم يقوَّم بالحجج والآيات الواضحة والأدلة الناصعة يقوَّم بالسيف، قال شيخ الإسلام رحمه الله في تعليق له على الآية المذكورة: فمن عدل عن الكتاب قوّم بالحديد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف، وقال عليه الصلاة والسلام: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[(١)]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لاتزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»[(٢)].

وقد أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هذا المنهج النبوي الكريم؛ فأخذ منه بدء دعوته الخيرة إلى تحقيق توحيد الله وتصفيته مما علق به من شوائب الشرك والبدع والعصيان، يجوب البلاد يعرض طلب نصرته فيها وحمايته من أعدائها على أمراء تلك البلدان، ولازال كذلك كما هو معروف من تاريخه رحمه الله إلى أن فتح الله له ولدعوته صدر الإمام محمد بن سعود

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما(٢/ ٣٠٩)، (رقم ٥١١٤)،ط: دار الفكر، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٤٥)، (رقم ٢٨٣١).

(٢) رواه مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (١٩٢٤).

أمير الدرعية آنذاك الذي بسط للشيخ رحمهما الله يده بعد أن عرض عليه دعوته وما تحتاجه من نصرة وحماية قائلاً: أبايعك على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وإقامة شعائر الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان لهذا الأمر ما كان من خير لايزال أهل الجزيرة العربية وغيرهم ممن تتلمذوا على معتقد أهل هذه الدعوة المباركة المنبعثة من دعوة رسل الله وأتباعهم بإحسان ينعمون به، وقد كان ضمن منهجهم رحمهم الله التركيز في دعوتهم على الدعوة إلى الكفر بالجبت والطاغوت، وتلقين عوام الناس في المساجد مختصر ثلاثة الأصول للشيخ نفسه، ومنه: ما أول ما فرض الله عليك؟ الجواب: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.. إلى: والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

فلينتبه لهذا المنهج الخيرون من المسلمين في دعوتهم إلى الله، وإلى إقامة شرعه عسى أن يكونوا خير خلف لخير سلف صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

★★★★★

الوسط المطلوب

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١][2].

أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة[3].

أما بعد: فإن الموضوع مهم جداً، وأهميته تأتي من حيث تعلقه بوسطية هذه

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ في مدينة جدة، وقد قام الأخ وليد بن مازن النفوري بطبعها سنة ١٤١٥هـ، ومنه استفدت عزو الآيات وتخريج الأحاديث، فجزاه الله خيراً.

(٢) رواه مسلم من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٧٦٨)، ورواه الترمذي (١١٠٥)، والنسائي (٣٢٧٧)، وأبو داود (٢١١٨)، وابن ماجه (١٨٩٢).

(٣) رواه مسلم من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٧)

الأمة، وخيريتها، وما أكرمها به من شرف تكون به متصدرة للناس، وشهيدة على الناس يوم يقوم الأشهاد، قال الله تعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال جل وعلا: ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

من هذا ومن حيث أن مسمى الوسطية عُدلَ به أو تُجوزَ في حقه من كثير من الناس من متمسلمة اليوم في هذا العصر ممن أصبحوا يسمون المعتدل متطرفاً، ويسمون المتطرف معتدلاً، فمن هذه الناحية جاء اختيار هذا الموضوع، وسأحاول بإذن الله طالباً من الله العون والسداد والتوفيق لحسن القول، سأحاول لأتكلم عنه بكليمات معدودات في نقاط خمس عسى أن ينجلي بها الموضوع أمام من لم يفهمه وأن يتذكره من فهمه من قبل ويزاداد به ثقة، سيما وأنه مستقى من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله ﷺ ، هذه النقاط الخمس هي:

النقطة الأولى : مسمى الوسط لغة.

النقطة الثانية : مسمى الوسط شرعاً.

النقطة الثالثة : أمر الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة بالوسط، ووعد من التزمه عليه، ونهيه عن الخروج عنه، ووعيده لمن خرج عنه.

النقطة الرابعة: بيانٌ وإيضاحٌ لهذه الأمة أهل السنة والجماعة كيف كانوا وسطاً؟ وكيف طلب منهم أن يكونوا وسطاً ؟

النقطة الخامسة : بواعث أو أسباب الخروج عن الوسطية المطلوبة.

وأختم رسالتي هذه بوصية بما أمرنا تعالى أن نسأله إياه في صلواتنا في قوله لنا: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لحسن القول، وأن يوفقكم لحسن القراءة والتدبر وأن ينفعنا جميعاً بما علمنا، وبما قلنا، وما قرأنا إنه تعالى حسبنا ونعم الوكيل.

★ الوسط في اللغة:

مُحَرَّك، أي محرك الوسط، محرك السين من كل شيء أعدله، قال تعالى: ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدلاً خياراً.

وقال سبحانه: ﴿ **قال أوسطهم** ﴾ [القلم: ٢٨] أي أعدلهم وأخيرهم.

والوسط مُحَرَّكٌ أيضاً من كل شيء ما بين طرفيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** ﴾ [الفرقان: ٦٧] نأخذها لنستشهد بها لغة، ونستشهد بها في المسمى الشرعي، وفي التطرف المذموم، وفي الوسط المطلوب، قال تعالى: ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا** ﴾؛ فالإسراف طرف، ﴿ **ولم يقتروا** ﴾ فالتقتير والبخل والتشديد طرف، ﴿ **وكان بين ذلك** ﴾ أي الإنفاق ﴿ **قواما** ﴾ لا إسراف ولا تقتير، قال ثعلب: القوام بالفتح الاستقامة والعدل، وقال: بالكسر، ما يدوم ويستقر.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط** ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك** ﴾ [البقرة: ٦٨].

هذا فيما يتعلق بالمسمى اللغوي لنعرف حتى في النهاية، أو فيما بعد، أو فيما بين أنفسنا نطبق مسمى الوسط على هذا، وما تُجنِّي عليه به في هذه العصور من تسميات أخرى؛ لنرى مَنْ هو المتوسط؟ ومَنْ هو الخارج عن الوسطية؟ هذا مسماه من حيث اللغة.

★ الوسط شرعاً:

هو باختصار تطبيق شرع الله وفق منهاجه الذي وضعه لعباده بواسطة رسوله محمد ﷺ تطبيقاً عدلاً قواماً، لا غلو فيه ولا جفاء، ولا إفراط فيه ولا تفريط، هذا هو المسمى المطلوب في الجملة، فالغلو والإفراط الذي هو المجاوزة للأمور أو النزول بها عن حدودها مذموم لخروجه عن الوسطية المطلوبة، والتقصير والإهمال مذموم كذلك لخروجه عن الوسطية المطلوبة؛ فالكل مذموم.

أعود للآية الكريمة: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا**﴾ [الإسراء: ٢٩].

ومثل الآية التي استشهدنا بها في المسمى اللغوي، وهي هنا في المسمى الشرعي ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**﴾ [الفرقان: ٦٧].

أي: عدلاً وخياراً، لا غلو فيه ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، لقد فهم هذا الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه لما زوجه عبدالملك بن مروان ابنته فاطمة رحمها الله قال: ما تصدقها؟

قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه: «الحسنة بين السيئتين» فالإسراف اعتبره سيئة، والتقصير سيئة، والحسنة ما بينهما.

هذا في الجملة، وفي الاختصار هو مسمى التوسط الشرعي، هذا التوسط المطلوب في المآكل، في المشارب، في المناكح، قبل ذلكم مطلوب في الاعتقاد، في التعبد، في الحكم، في التحاكم، في الإنفاق، في التعامل حسب منهاج الله، وانطلاقاً من أمر الله تعالى، ومن أمر رسوله ﷺ فيما يتعامل الإنسان به مع ربه بحيث يسلك فيه المسلك الوسط الذي قلت غير مرة: لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.

★ أمر الله لهذه الأمة في أن تكون أمة وسطاً:

أن تكون وسطاً عدلاً خياراً، وسطاً في معتقدها، وسطاً في عبادتها، وسطاً في تعاملها، وسطاً في حكمها وتحاكمها، وسطاً في أمر اقتصادها جبياً أو إنفاقاً أو تعاملاً، وسطاً بالمعنى الحق الذي جاء في القرآن وفي السنة أنه وسط، استقامة على شرع الله، استقامة اعتقاد، استقامة أقوال، استقامة أفعال، استقامة وجري ومشي وتعامل وتحاكم واعتقاد وتعبد وفق منهاج الله، لا بما شرعه فلان، ولا بما ارتآه علان، ولا بما أمر فلان، ولا بما هو مذهب علان أو فلان، وإنما من شرع الله من القرآن، من السنة، يقول سبحانه وتعالى في أمر هذه الأمة أن تكون وسطاً بمعنى مستقيمة قيّمة عدلة خياراً، لا تميل يمنة لباطل، ولا يسرة لباطل، ولا أمام ولا خلف، وإنما تولي وجهها نحو الله مستقيمة على شرع الله، آخذة الطريق الذي أمرها الله تعالى أن تسأله أن يسلك بها إياه وأن يوفقها له في كل صلاة من صلواتها، وهو صراطه المستقيم الذي لا عوج فيه، ولا أمتا، صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قال تعالى في أمرهم بهذا الأمر: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**﴾ لماذا ؟ ﴿**لتكونوا شهداء على الناس**﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا**﴾ [الإسراء: ١١٠].

والعبرة في هذه الآية بعموم لفظها لا بخصوص سببها.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفا**﴾ [الروم: ٣٠].

فأقم، قيام الوجه أ هو ميل لليسار أو لليمين أو للأمام أو للخلف عن منطقة الوسطية ومنطقة الخيرية، والمنطقة التي أمر الإنسان أن يسلكها وأن يلزمها.

﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**

ذلك الدين القيم﴾ [الروم: ٣٠]

وقال تعالى: ﴿**فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا**﴾ [هود: ١١٢].

أي: لا تتجاوزوا ولا تطغوا.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم**﴾ [النساء: ١٣٥].

كونوا قوامين، صيغة مبالغة بالقسط الذي هو العدل، يقول أحد المفسرين: إن هذه الآية أعطت هذه الأمة الوصاية على البشرية، والقوامة على البشرية، والنظر في أمر البشرية، والولاية على البشرية.

أمة التوحيد، أمة الإيمان، يقول الله سبحانه وتعالى في وعد من التزم هذه الوسطية، ومن اقتنع بها ومن لزمها، ومن قام بأمرها، ومن كان حقاً متوسطاً بلا نقص ولا رجحان، يقول سبحانه وتعالى في وعد أهلها وترغيبهم وطمأنينتهم وتبشيرهم: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ [الصافات: ١٧١ ، ١٧٣].

وجند الله أعم من أن يكونوا مرسلين ـ مرسلين وغير مرسلين ـ والغلبة تكون بالسيف والسنان، أو بالحجة والبيان، أو بهما معاً، أو حتى بالقهر في داخلية النفس، فلقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»[1]

وإنني أتأمل وأرى أن في نفوس الحكام في أقاصي الدنيا وأدانيها ما يقهرهم من واقع المعتدلين حقاً، المستقيمين حقاً، القهر بينهم في نفوسهم وإن قهروهم بالسلاح والسجون، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات**

---

(١) رواه مسلم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (١٩٢٤).

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾[النور: ٥٥]

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين** ﴾ [القصص: ٥].

لكأني يخطر لي انقضاضة بلال رضي الله عنه لما رأى أمية بن خلف يرسف في وثاق، انقض عليه كالنسر قائلاً : أمية لا نجوت إن نجى.

ويقول جل وعلا في تحذير هذه الأمة وإنذارها من التولي، من الخروج عن هذه الوسطية، خروج للأفراد وللجماعات، وللحكام وللمحكومين، يقول في إنذارهم وتحذيرهم من الخروج عن هذا العدل، عن هذا القوام، عن هذا الوسط المطلوب الذي أمرنا به : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾ [النساء: ١١٥].

ويقول جل في علاه: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ [المائدة: ٥٤].

ويقول جل وعلا: ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ [محمد: ٣٨]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ **إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم** ﴾ [محمد: ٢٤، ٢٥].

وإنني لأتوسم وأرجو الله أن يحقق توسمي وتوسم أمثالي، أن تأويل هذه الآية يُتوقع أن يأتي، وهي قوله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم** ﴾ [المائدة: ٥٤].

فلقد كادت الدنيا أن ترتد إلا من شاء الله ارتداداً ينقل عن الملة أو ارتداداً جزئياً في ترك كثير مما أمر الله به، ومما أمر به رسوله، في ارتكاب كبائر، فلقد كان قبل أربعين سنة في العالم كادت أن تكون ردة إلا فيمن شاء الله، ولقد عشت مثل هذا . . أيام القوميات وأيام مباديء الاشتراكية، حتى كادت تلك تسود المجتمعات، وتسود الحكام.

ولكن بدأ يتحقق ـ والله أعلم ـ وقوع تأويل هذه الآية، بدأ يظهر في توجه كثير في أصقاع الدنيا إلى الله، فلقد أخذ كثير من القوم وخاصة الشباب يتوجهون إلى الله، وأخذوا والحمد لله جانب توجههم يصطحبون معهم العلم الشرعي والمعتقد السليم والالتزام بما علموه وإظهار ما اعتقدوه، نرجو الله أن يتحقق هذا ﴿**فسوف يأت الله بقوم يحبهم**﴾.

والسائد بين هؤلاء الشباب التحاب في الله، ونستبعد ما دخلهم أخيراً من الخوض والاختلاف، لكن الأصل هذا التحاب في الله والتوالي في الله والتزاور في الله، تجد أربعة أو خمسة أو عشرة فتنظر إليهم مختلفي الألوان، ومختلفي البلدان، وربما مختلفي اللسان، وربما مختلفي الأنساب، ولكن جمعتهم كلمة لا إله إلا الله، وجمعهم التحاب في الله والتوالي فيه والتزاور فيه، فلكأني أنظر وأرجو الله أن يحقق نظرتي ونظرة أمثالي أن هذه الأمور المقبلة تهيئة وإرهاص وبداية لتحقق وعد الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ **وقوله**: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ [محمد: ٣٨].

★ بيان وإيضاح كيف كانت هذه الأمة وسطاً؟:

أولاً: هم وجدوا ليكونوا وسطاً، وأمروا بالوسطية في الاعتقاد والتعبد والحكم والتحاكم والتعامل، وجبي المال وإنفاقه، والتعامل فيه بل والتعامل مع الناس والتعامل الأدبي والمعنوي، وأمروا بالتوسط فيه، وأصبحوا به وسطاً والحمد لله.

لنأخذ نماذج فقط لتوسطهم :

١ - نماذج في الاعتقاد :

نموذج في اعتقاد الأمم في ربها، فاليهود ـ عليهم لعائن الله ـ جفوا في حق الله سبحانه وتعالى فقالوا: ﴿**فقير ونحن أغنياء**﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا**﴾ [المائدة: ٦٤].

فجفوا في حق الله، والنصارى غلت في حق المخلوق فاعتقدت في المخلوق أنه يثيب، وأنه يتوب، وأنه يرحم الرحمة التي يعتقدونها، وهذا سائد فيهم إلى اليوم يعطون ما تسمى بصكوك الغفران، وما تسمى بدخول الجنة، هذا غلو في المخلوق أنزلوْه منزلة الخالق، وأولئك جفوا في حق الله سبحانه وتعالى، هذه الأمة وسط بين هذه الأمم، وبين أمم التكليف فهم يؤمنون بالله على الوجه الذي أمرهم به سبحانه وتعالى على حد قوله جل وعلا: ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾ [الإخلاص: ١ ، ٤].

وعلى حد قوله سبحانه: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: ١١]

وقوله: ﴿**هل تعلم له سميا**﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله جل شأنه: ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾ [النحل: ٧٤].

هذه الوسطية هي عقيدة الأمة في ربها، فلا جفاء اليهود ولا غلو النصارى، إكرام أكرمنا الله به فيجب أن نأخذه بقوة وبرغبة وبإخلاص وباحتساب.

٢ - نماذج في الإيمان :

هذه الأمة وسط في باب الإيمان بالأنبياء، فاليهود ـ عليهم لعائن الله ـ ومن شايعهم قديماً وحديثاً في نفس الوقت جفوا في حق الأنبياء: ﴿**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم**

بعذاب أليم﴾ [آل عمران: ٢١].

جفوا في حق كثير من الأنبياء، فقتلوا من قتلوا، وفي حق من يأمر بالقسط من الناس، والنصارى غلت من جانب آخر فألّهت أنبيائها وعلمائها، جعلتهم آلهة، أعطتهم حق الله، يقول تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾ [التوبة: ٣١].

أهل السنة والجماعة في باب الإيمان بالأنبياء، آمنوا هم كما في نصوص القرآن ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**﴾ [البقرة: ١٧٧].

فآمنوا بالأنبياء وبرسالاتهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عزّروهم ونصروهم واحترموهم بل واتبعوهم فيما أمروا أن يتبعوهم فيه، فقد قال سبحانه وتعالى بعد ذكر عدد من الأنبياء: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام: ٩٠].

فلا جفاء يهود ولا غلو نصارى، وإنما هو وسط في الإيمان بالأنبياء يعزرونهم ويؤمنون بهم وبرسالاتهم ويتبعونهم فيما أُمروا أن يتبعوهم فيه.

٣ - نماذج في الأسماء والصفات:

باب مهم ضل فيه كثير من الناس من عباقرة الأمم، ومن أفاضل الأمم، ومن علماء الأمم، ضل فيه كثير، وهدى الله من شاء من عباده لمسلك أهل السنة والجماعة؛ فأهل السنة والجماعة وسط في باب الأسماء والصفات، وسط بين من يلحدون في أسماء الله ويعطلونها ويؤولونها بما يقتضي تعطيل مقتضياتها ومعانيها ونفيها باطناً عن الله سبحانه وتعالى، وبين من يشبهونه بخلقه تعالى الله عما يقول الجميع علواً كبيراً، فأهل السنة وسط لا مع أهل التشبيه، ولا مع أهل التعطيل،

آمنوا بصفات الله على مراد الله وعلى مراد رسول الله ﷺ على المبدأ: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾.

فيثبتون لله صفات تليق به لها حقائق، ولها كيفيات لكن ينفون عنهم علمهم بالكيفية، كما قال الإمام مالك رحمه الله: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة».

فالمهم أنهم أثبتوا صفات حقيقية ذاتية وفعلية لله سبحانه وتعالى، أثبتوها على الوجه اللائق به، وتوسطوا في هذا الباب العظيم الذي ضل فيه من ضل، واحمدوا الله واشكروه أن جعلكم من أهل السنة، وأن سلّكم من الضلال سلّ الشعرة من العجين يقول شيخ الإسلام وغيره: «إن مذهب أهل السنة والجماعة سُلَّ سلاً من بين ضُلاَّل الجهمية وضلال المعتزلة، وأمثالهم كما يسلُّ أو يخرج اللبن الصافي من بين فرث ودم».

هذه الوسطية يجب أن نفهمها وأن ندعو لها، وأن نقرأ كتبها، وأن نتتلمذ على أئمتها شيباً أو شباباً، ذكوراً أو إناثاً، وأن نغار لها، وأن نوالي من أجلها، وأن نكرس الجهود لنخرجها طازجة كما يريدها الله سبحانه وتعالى، فلا خير في هذا المجال إلا في عقيدة أهل السنة والجماعة، وتوسطهم في صفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى.

خذوا مثلاً توسطهم في باب القدر بين النفاة الذين نفوا علم الله بالأشياء حتى تقع وهم نفس القدرية النفاة، وبين القدرية المجبرة الذين يقولون: إن العبد مجبر على فعله.

أهل السنة وسط يؤمنون بأن الله علم الأشياء وكتبها وقدرها، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن للعبد إرادة ومشيئة ولكنها مربوطة بإرادة الله ومشيئته، قال تعالى: ﴿**وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾ [التكوير: ٢٩].

٤ - نماذج في الوعد والوعيد :

أهل السنة والجماعة وسط في هذا الباب الذي يهمنا كثيراً ونُبتلى به في مثل هذه الأمور، هناك نصوص وعيد لو قرئت وحدها لخالج المؤمن أن يقول بقول الخوارج والمعتزلة، وهناك نصوص وعد من الله سبحانه وتعالى لو قرأها مسلم وحدها بدون أن ينظر في نصوص الوعيد لمال إلى مذهب المرجئة، ولكن والحمد لله أهل السنة والجماعة توسطوا في هذا الأمر فجمعوا بين نصوص الوعيد وبين نصوص الوعد، وقالوا: إن المسلم لا يكفَّر كما تكفره المعتزلة والخوارج بارتكابه لكبيرة ارتكبها، وإنما نقول: هو مسلم بإيمانه فاسق بكبيرته، مؤمن بإيمانه الأصلي فاسق بكبيرته، فيجعلونه تحت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء: ٤٨].

٥ - نماذج في الاقتصاد :

باب مهم في حياتنا، وفي عصرنا في الجبي والإنفاق والتعامل، فالآيات السابقة في هذا المجال نعيدها مرة ثانية، جاءت في التعريف اللغوي، وجاءت في التعريف الشرعي، وجاءت هنا في تعريف التوسط في الاقتصاد: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط**﴾ [الإسراء: ٢٩].

فذم الله الإسراف من حاكم مؤتمن على مال من أموال المسلمين، أو حتى على ماله الخاص، فالإسراف مذموم، كبيرة من كبائر الذنوب، والتقتير بمعنى عدم إنفاق الواجب مذموم كذلك، فلابد في هذا الأمر من الوسط.

ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وهذا هو الذي نبتلي فيه اليوم، فيه من الناس من تجب عليه حقوق سواء لزوجة أو لولد، أو لمرعيين ومرؤوسين، وما إلى ذلكم، ويقصر فيها، وتجده في مجالات

أخرى يبذخ بالأموال البذخ الفظيع الذي لا تقبله العقول، ولا يرضاه أحد، ولربما نأتي في الختام نتسائل هل هؤلاء يعتبرون متطرفين أم معتدلين.

٦ - نماذج في الأحكام :

أيها الإخوة! التوسط في باب الأحكام أمر مطلوب، فلا يجوز أن يعطى الحكام التشريع، ولا أن يعطى الناس التشريع، ولا أن يحكموا بغير ما أنزل الله، فهذا الأمر يعتبر خروجاً عن الوسطية، الحكم لله: ﴿**إن الحكم إلا لله**﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال جل وعلا: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾ [المائدة: ٤٧].

آيات عديدة كلها تنص على أن القوام والاعتدال والوسطية والخيرية في أن يحكم الحاكم أياً كان عاماً أو في نطاق يخصه وولاية تخصه بكتاب الله، فإذا لم يحكم بهذا اعتبر خرج عن هذا العدل وعن هذا القوام وعن هذه الوسطية، وسمه هو المتطرف في هذه الأمور، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

★ بواعث أو أسباب الخروج عن الوسطية المطلوبة :

هذه تكون كثيرة وإذا أمعنتم النظر فيما مضى عرفتم أنها تدخل كل باب من هذه الأبواب ومن أمثالها، تدخل في مجال الاعتقاد، تدخل في مجال الحكم، تدخل في مجال الإيمان بصفات الله، أو الإيمان بأنبياء الله، تدخل في الاقتصاد، تدخل في كل شيء لكنها كثيراً ما تكون في مجال الغلو في الدين، كثيراً ما تكون في مجال التعبد والتدين، هذه أكثر ما تكون ولذا جاءت النصوص محذرة منها وناهية عنها، قال سبحانه وتعالى: ﴿**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم**﴾ [النساء: ١٧١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تطرونـي كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله»[2].

هذا الغلو فـي التعبـد بمعنى التـجاوز به عن حـدود المشروع، أو التـفريط فـيه وإهماله، كمـن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفـرون ببعض، ومثلهم من يُعـملُ بعضه كمن يُعملونه في مجـال الأحوال الشخصية، ويهملونه في مجـال القصاص ومجال الحدود، فـإما تجاوز في العـبادة وفي الأمور وارتفـاع بها عن المعنـى المشروع أو عن الأمر المشروع وزيادة عليهـا، وإما تفريط وإهمال فيها، تفريـط وإهمال بحيث تترك كلياً أو تـترك جزئياً، وقلـت كمن يؤمنون ببـعض الكتاب ويكفرون بـبعض هؤلاء فرطوا، وكمن يعـمل ببعض تشريع الله ويهـمل بعضه هؤلاء فرطوا، فالكل تُـعتبر مفرطاً متجاوزاً للحد إما بغلو وإما بإهمال.

★ خاتمـة:

أيها الإخوة! من هذه المقدمات، ومن هذه البيـانات، ومن هذه التعريفات يتبين لنا مسمى الوسط، ومسمى التطرف، مسمى الطرف، ومسمى الوسط.

هل المستـقيم الملتـزم الذي ترى السنة في وجهـه، وفي عمله، وفي تعـامله هو المتطرف أم الـذي انحرف في اعـتقاد أو في أمـوال له أو للأمة أو فـي حكم أو في تحاكم جـفا في بعضهـا؟ أيهم المتطرف أهو المستقـيم الماشي وفق منهاج الله المـعتدل

---

(١) أخرجه النسائي من حديث عبدالله بن عبـاس رضي الله عنه في كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى رقم (٣٠٥٧)، ورواه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٣٠٢٩)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٢٢ ، رقم ٢٦٨٠).

(٢) رواه البخاري من حـديث عمر رضي الله عنه في كتـاب الأنبياء، باب: ﴿واذكر في الكتاب مـريم إذ انتبذت من أهلها﴾ رقم (٣٢٦١).

الذي يمشي بسنة، وينـظر بسنة، ويصلي في سنة، ويقول كلـمة الحق، وإن ناله في سبيلها ما ناله؟ أهو الذي خرج عن الوسطية؟!.

فليـعلم أن ما يجـري على الألسن من وصف المـلتزمين المستقيـمين المعتـدلين بالتطرف، وصف المنحـرفين عن الجادة في سلوك أو في مظهـر أو في تعامل أو في حكم أو في تحاكم بالمعـتدلين أنه تجنٍ على لغة العـرب، وتجنٍ على شرع الله، وأنه مكابرة، وأنه ظلم لهذا المسمى، وأنه مغالطة لأمور واضحة بينة، فلينتبه المرء وليعلم عسى الله سبـحانه وتعالى أن يبصره، وأن يجـعله من المستقيمين المـعتدلين الذين لا إفراط لديهم ولا تفريط ولا جفاء ولا غلو، وليبتعد عن مثل هذه الأمور.

أسأل الله سـبحانه وتعـالى أن يوفقني وإياكم لسلـوك صراطه المستقـيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشـهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأسأل الله أن يثبتنا على صراطه المستقـيم، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، نسأل الله أن يظـهر الاعتـدال والقوام واضـحاً جـلياً يرفع الـرأس، ويرفع الرؤوس، وأن يخذل التطرف الحقيقي، وأن يـنزله تحت الأقدام، وأن يذله، ويذل أهله، إنه تعالى جواد كريم.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد

★★★★★

الدعوات الإصلاحية وأثرها في المجتمع

الدعوات الإصلاحية وأثرها في المجتمع[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبه ربنا ويرضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

قبيل البدء يطيب لي انطلاقاً من قوله عليه الصلاة والسلام: «من صنع إليكم معروفاً فكافؤه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[2]، يطيب لي أن أشكر لجامعة الملك سعود ممثلة في هذا المجال في اللجنة الثقافية بكلية العلوم الإدارية لدعوتها لي، وأسأل الله أن يجعلني عند حسن الظن، وأن يجزيها خيرا، وأن يجزي الحضور المتجشمين الحضور إلى هذه القاعة في هذه الليلة المطيرة، أرجو الله أن يجزيهم خيراً وأن يوفقني وإياهم لقول الحق وإلى الطيب من القول وإلى صراطه المستقيم.

الموضوع أيها الإخوة كما سمعتم موضوع هام لا إخال فكر مثلي وعلميتي المحدودة أن تفي بحق هذا الموضوع، ولذا أعتذر مبتدءاً عما يحصل من تقصير، الموضوع الذي سمعتم عنوانه موضوع بدأ أول ما بدأ مع الإنسان مذ وجد على ظهر الأرض ووجد له مهمة في الأرض وجدت بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات:٥٦]، وبقوله جل وعلا فيما قال لأول خلافة

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلته في جامعة الملك سعود.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٥)، وقال: حسن جيد غريب، والنسائي في عمل اليوم والليلة كما في تحفة الأشراف (١/ ٥١)، وابن السني (٢٧٦).

قامت على وجه الأرض، وأنزله قرآناً على خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه ليربط آخر هذه الأمة بأولها وأولها بآخرها هو قوله سبحانه وتعالى لآدم وزوجه: ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى**﴾ [طه: ١٢٣].

فمهمة الإصلاح أو دعوات الإصلاح ذات الأثر في حياة الأمم أو في تقدم الأمم بدأت أول ما بدأت مع رسل الله عليهم الصلاة والسلام، فهي مهمتهم ورسالتهم التي تلتقي في رد العباد إذا انحرفوا عما وضع لهم في الأرض من منهاج تلتقي في دعوة الناس إلى دين الله: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فدعوة رسل الله دعوة إلى الإصلاح ودعوة لها أثر في نفوس البشرية، وضعت لهم ليقيموا ما أعوج من شأن البشرية وليصلحوا ما فسد، فمهمة الرسل أصلها الأمر بالمعروف والنهي عن الشر، الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير والذي أصله وأساسه الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وإلى ما يصون ذلك التوحيد من أن يتطرق إليه ما يناقض أصله أو ينقصه ويضعفه في النفس، وإلى النهي عن كل شر عن كل منكر الذي أساسه وأصله الشرك بالله المنافي لذلكم التوحيد الذي خلق الثقلان لأجله، هذه الرسالة الإصلاحية والمهمة العظمى جاء نبينا عليه الصلاة والسلام مكملاً وخاتماً لها، يقول جل وعلا في وصف نبيه الذي هو متمم ومكمل لتلكم الرسالات وتلكم الوظائف الإصلاحية وتلكم المهمات العظمى: ﴿**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح في مجال أنه مكمل ومتمم وخاتم لهم عليهم الصلاة والسلام: «إنما مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فأخذ الناس يطيفون بها ويعجبون من حسنها إلا موضع اللبنة فأنا تلكم اللبنة»[1].

هذه المهمة العظمى يا إخوة اختار الله لها من بعد أنبيائه من أحلهم محل الأنبياء في القيام بالأمر، اختار الله لها لما كانت باقية ولما كانت شاملة خالدة عامة للناس أجمعين التي هي رسالة محمد: ﴿**قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا**﴾ [الأعراف: ١٥٨].

لما كانت بهذا اختار الله لها أمة محمد، اجتباها واصطفاها للقيام بهذه المهمة، مهمة الإصلاح، مهمة إصلاح الفساد وإقامة الاعوجاج، إقامة العقائد لترجع إلى الله نقية صافية، وتصفيتها مما علق بها، اختار الله لها أمة محمد عليه الصلاة والسلام بمثل قوله جل وعلا: ﴿**وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس**﴾ [الحج: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس**﴾ [البقرة: ١٤٣].

اختار الله لهذه المهمة الإصلاحية والمحاولة النافعة، أمة محمد ووضع لهم مواصفاتهم ومؤهلاتهم للقيام بها، مواصفات ومؤهلات تتلاءم للقيام بأيسر دين وأجمع دين وأشمل دين وأبقى دين، وأنزله الله ليدين به الناس جميعاً من بلغه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وضع لهم مواصفات تتلاءم مع حمل هذه المهمة في مثل قوله: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء**

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب (ح ٣٥٣٤، ٣٥٣٥).

بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ [التوبة: ٧١]، وقوله تعالى: **﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾** [العصر: ١-٣]، وقوله: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾** [المائدة: ٢].

وضع مواصفات لمن يقوم بهذا الأمر أمر الإصلاح، أمر محاولة رد المنحرف من العباد والمتخلي عما وضع لـه من واجب إلى واجبه الأساسي، إلى الله جل وعلا، رد إلى السلطة الأولى التي تلقوا منها وجودهم ليتلقوا منها موازينهم وقيمهم، اختار الله أمة محمد ووضع لهم هذه المواصفات ليقوموا بهذا الأمر، اختيار تشريف وتكريم لا اختيار عنت وتكليف، اختارهم الله وطمأنهم أن هذا الأمر سيظل قائماً محفوظاً يقوم به خلف عن سلف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، طمأنهم على هذا بمثل قوله: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [الحجر: ٩]، وليتذكر الأخوة أن الحفظ هنا يقتضي حفظ ألفاظ القرآن من التغيير، ويقتضي حفظ مقتضاياته ومقتضيات السنة الغراء، وحفظ مقتضيات الشرع من التعطيل نهائياً، فالحفظ حفظ ألفاظ القرآن وحفظ مقتضيات معاني قرآن وسنة.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمر الله»[(١)]، «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[(٢)]، وقوله فيما رواه الإمام مسلم: «لن يبرح أمر هذه الأمة قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»[(٣)].

وفي حديث آخر: «لاتزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم حتى تقوم الساعة»[(٤)]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يبعث على

---

(١) رواه مسلم كتاب الإمارة (ح ١٧٠).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (٣/ ١٥٢٣ ح ١٧٠)

(٣) رواه مسلم في الإمارة (٣/ ١٥٢٤ ح ١٧٢).

(٤) رواه مسلم في الإمارة (٣/ ١٥٢٤ ح ١٧٦).

رأس كل مائة سنة لهذه الأمة من يجدد لها دينها»[1]، طمأنها على هذا وأخبرها أنه سيظل أمرها محفوظ، لكن الشأن شأن أفرادها وأهلها؛ فهذه الأمة أمة محمد التي شرفها الله بهذا الأمر لا تزال والحمد لله خلفاً عن سلف يقومون بهذا الأمر، ويكافحون ويجاهدون، ويدعون إلى الله، يتشرف بذلك من شرفه الله بمهمة الأنبياء، بمهمة سادات الأمم، بمهمة أشراف الأمة، يتشرفون بهذا الأمر، لا يزالون يقومون بهذا الأمر ماشين في أمر الله متفاعلين مؤدين ما أوجب الله عليهم.

وبعد . . نأخذ نماذج لمن قام بهذا الأمر أثناء التأريخ الإسلامي الطويل فالتاريخ قسمان تأريخ رسل، وتأريخ أمة محمد عليه الصلاة والسلام، الرسل قصهم الله علينا وأخبر أنهم قاموا به، قص علينا في القرآن قصة خمسة وعشرين رسولاً، وقال عن البقية ممن أدوا واجبهم في غمرات التأريخ: ﴿ **ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ [غافر: ٧٨].

ولذا يسمح لي لو قصرت في أخذ النماذج، فكلام الله يشفع وإنما هي الذكرى وإيراد نموذج أو نماذج لمن وفقوا للقيام بهذا الأمر، وشاركوا وتركوا آثاراً في الأمة، آثاراً تذكر، وآثاراً يقتدى بها في أممهم.

* من النماذج أيها الإخوة الذين شاركوا في مثل هذا الأمر لنأخذ في مجال القيادة والخلافة والسياسة ثلاثة أشخاص نبدأ بالخليفة الراشد أبو بكر رضي الله تعالى عنه، ولنأخذ من مواقفه ومواقفه جمة لا تعد ولا تحصى مذ بدأ الإسلام إلى أن لقي ربه رضي الله عنه وأرضاه، نأخذ موقفه يوم الردة وما ذا كان، اختلط أمر المسلمين صحابته ومستشاروه بمن فيهم عمر يتوقف ويحار ولا يدري ماذا يعمل من هول الموقف وذلك الرجل ثابت، انحرف العرب وارتد على ذمة التأريخ قرابة ثلاثة

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما ذكر في قرن المائة (٤/ ٤٨٠ ح ٤٢٩١)، ورواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (ح ٤٢٢) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٢٢) ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (ح ٥٩٩)، وقال: والسند صحيح رجاله ثقات، رجال مسلم.

أرباع العرب ارتدوا، منهم من ارتد ارتداداً كلياً وترك الإسلام وجحده وانضم إلى مسيلمة الكذاب وغيره، ومنهم من ارتد ارتداداً جزئياً ممن منع الزكاة وبخل بها وبقي على أصل دينه، هذه الفتنة العمياء وفق الله سبحانه وتعالى لها خليفة رسول الله ﷺ فواجهها بعزم وحزم: لو منعوني عناقاً أو عقالاً كانوا يؤدونه على عهد رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه. يقول له عمر أو غيره: نقاتلهم وهم يقولون لا إله إلا الله؟ ويقول له: إلا بحقها فالزكاة من حقها؛ فقال عمر: لقد رأيت أبا بكر وقد شرح الله صدره للقتال.

المهم الموقف الذي ترك الأثر لأصحابه أمامه ومن بعده من الخلفاء ومن الأمراء ومن القيادين الذين قد يواجهون في مواقف التاريخ مثل هذه الأشياء هذا الموقف يعطي القدوة في مثل هذه الأمور.

* نقفز إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز الذي خرج على الأوضاع بعدله، وعلى المألوف، وعلى عادات الخلفاء وعادات الأسر وعاداتٍ وعاداتٍ، خرج وقلب الدنيا لما تولى رأساً على عقب وعاد بها إلى ما كانت عليه في عهد جده من قبل أمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكأن الشاعر يتمثل به في قوله:

الحر من خرق العادات منتهجاً ... نهج الصواب وإن جافى الجماعات

فرضي الله تعالى عنه يعطينا المثل ويعطينا الأمل أن لا يزال المسلمون يرجون أن يوفق الله ولياً من ولاتهم يوماً ما أن يعدل الأوضاع ويعيدها كما أعادها عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه.

* النموذج الثالث لهذا النوع: صلاح الدين وما صلاح الدين الذي يتغنى به التأريخ ذلك الذي ولد في عهد صليبي تسلط على بيت المقدس، ونشأ ووفق للجهاد الواسع في سبيل الله إلى أن أتم الله تعالى على يديه تطهير بيت المقدس في عام ٥٨٣هـ ـ بقطع النظر عن ما قيل عنه ـ وأخرجت منه الصليبية بعد أن عششت عليه

قرابة ٩٠ سنة يرزح تحت حكم الصليبيين، ويأتي الله بشخص يولد في عهد الصليبين، ويجاهد ويحمل راية الجهاد إلى أن خلص ذلك المسجد من أولئك.

نرجو الله أن يأتي اليوم بمن يخلصه من براثن اليهود من المسلمين ومن قادة المسلمين ومن شباب المسلمين، هؤلاء نماذج حية في أمر القيادة وأمر الخلافة تعطي الناس القياديين المثل، والعاديين الأمل بإذن الله سبحانه حافظ دينه وسيقيض له من يقوم به يوماً ما ولن يضيع أمره أبداً، وإنما الشان أن يتشرف العبد المسلم بالمشاركة في مثل هذه الأشياء، صلاح الدين قرأت في ترجمته فوجدته توفي رحمه الله ولم يوجد في خزينته إلا دينار، ولا مزرعة ولا عقار، وله سبعة عشر ولداً منهم الموظف وغير الموظف، ومع هذا ـ رضي الله عنه ـ قدّم للإسلام ما قدم.

هؤلاء النماذج الذين تركوا أثراً في حياة المسلمين، وتركوا الباب مفتوحاً للاقتداء بهم من خلفاء وأمراء ووجهاء وأهل الحل والعقد من المسلمين ممن يولهم الله سلطة يستطيعون بها أن يغيروا الأوضاع، وأن يقيموا دين الله حسبما نزل من الله سبحانه وتعالى.

* ولنأخذ أمثلة في مجال الأثر على المسلمين في الاعتقاد، و في حفظ السنة، خذوا مثلاً الإمام أحمد، الإمام ابن تيمية، الإمام ابن القيم هؤلاء الأمثلة الحية، أحمد الذي هو إمام أهل السنة، ويلقب بهذا اللقب، مواقفه أيام المحنة بالقول بخلق القرآن، مواقفه أمام الجهمية المعطلة الذين يصفون الله بما يقتضي العدم، مواقفه أمام محاولة بعض الناس أنه يتأول حتى ضرب وما إلى ذلك، شيخ الإسلام الذي يعطر ذكره المجالس ويتصدر رأيه الآراء في كل زمان ومكان، ومن أهل السنة ابن القيم الذي جرد لسانه وسنانه، جرد لسانه للدفاع عن العقيدة، فكتبه المعروفة في الدفاع عن عقيدة المسلمين، هؤلاء يا أخوة بذلوا جهودهم، قيضهم الله لخدمة سنة محمد عليه الصلاة والسلام، كافحوا عنها، حفظوها، وقفوا، فصاروا بيننا اليوم أئمة

يقتدى بهم وهم في عالم الأموات، آثار باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

* وننتقل من هؤلاء الثلاثة إلى تلميذهم فكرياً الكبير محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الذي معروف تاريخه لديكم ولا نزال نعيش في بقايا دعوته وظل دعوته وما إلى ذلكم، هذا الرجل الذي خرج بينه وبين شيخ الإسلام قرابة ٥٠٠ عام تلميذ فكر لأن أفكاره هي أفكار الإمام أحمد بن حنبل في الحرص على السنة وعلى المعتقد السليم وعلى الوضوح، وأفكار ابن تيمية وأفكار ابن القيم، اقرءوا كتب الجميع، ومنكم من قرأ فتتلمذ على أفكارهم رحمة الله عليهم ،أطلقها دعوة سلفية إلى الله، كانت هذه البلاد كما تعلمون، ويستحق رحمه الله أن يُعطى من الأقوال الكثير، وكتب عنه كتابات طويلة، المهم أن الرجل أخرجه الله في بيئة متلطخة بالبدع الكبرى المخرجة من الملة والبدع الصغرى، فحاول أن يطهر هذه البلاد والله سبحانه وتعالى وفقه وسدده وأتاح له فرصة التأييد من الإمام محمد بن سعود الذي جعل الرأي له والتنفيذ له طيب الله ثراهما، وهذا أمر معروف لديكم وما بنا وبهذه البلاد من بقايا من معتقدات صافية ومن خير إنما هو من بقايا دعوته رحمه الله تعالى، تلك الدعوة التي نفع الله بها امتدت في شبه الجزيرة، وانتقلت منها أيضًا إلى شمال وإلى جنوب، ولا تزال والحمد لله إذا وصف السني أو السلفي عند المشعوذين أو المنحرفين أو المبتدعين أو الوثنيين قيل (وهابي)، وكفاه شرفاً أن ينسب له أهل الخير وأهل الفضل وأهل السنة.

وننتقل من الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله طوياً للتاريخ إلى عصرنا الحاضر وما فيه من دعوات إصلاحية، وما حصل فيه من دعوات سابقاً ذات أثر عظيم سواء ما هو دعوة فرد أو دعوة جماعة، ولعل الموضوع ـ والله أعلم ـ ولم أدر ما في الغيب قد يكون المقصود منه أو من محتوياته أن يتطرق لأثر الدعوات الحاضرة في المجتمعات في عصرنا الحاضر.

* فمن الدعـوات التي في عصرنا الحاضـر في جملتها دعـوة الإخوان المسلمين وهذه في مصر، ودعوة الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية والباكستانية، دعوة بديع الزمـان النورسي في تـركيا، دعـوة أنصـار السنة في مـصر والسـودان، دعوة المدرسة السلفية اليـوم ومعظمها في مصر، الجهاد القائم الآن في أفـغانستان وما إلى ذلكم.

ففي الساحة اليوم ومنذ قرابة الستين سنة هذه الجماعات تحمل الدعوة إلى الله، وظاهرها دعـوة إسلامية وباطـنها إلى الله سبـحانه وتعالـى، كبرى هذه الجمـاعات ونقول كـبرى لأنهـا أول ما سبق في الميـدان ودخل في الميدان، ومـن الإنصاف أن يعترف لأهل الفضل به، وابن مالك لما ألف ألفيته قال لمن سلفه:

وهو بسبقٍ حائزٌ تفضيلا مستوجب ثنائيا الجميلا

فهذه الدعوة قامـت وتأسست بالشيخ حسن البنا رحمه الله تـعالى قرابة الستين سنة فكـان تأسيسـها والله أعـلم في ١٩٢٨م تأسسـت في مصر، ودعـت إلى الله وانطلقت في مصر، وأصبح لها فروع في غير مصر وفي مصر، قال بعض من كتب عنها أن فـروعها في مصـر بلغت ثلاثة آلاف فرع، وبدأت تدعـو إلى الله ولكن لما قويت والأحـزاب تُخطب من الناس بقـطع النظر عن أهدافـها انضم إليهـا - والله أعلم- من لم يـكن يهدف للإسـلام، وإنما باسم الحزبـية، قويت فـي ذلك الوقت وانتشرت وأصبح لهـا دعاة ولها رجال، أراد الله لها أن يتسلـط عليها رئيس الوزراء النقراشي فأصدر قراراً بحـلها ومصادرة أموالها واعتقال قياداتـها وواجهاتها، هنا بدأ البلاء وبدأ الشر بين النـاس، بعد فترة من الزمن قتل النقراشي اغـتيالاً وظن أو علم أنه انتقام لـهذا الأمر فقتل بعـده البنا وبدت الحركات، مر الأمر إلـى أن جاءت فتنة عبدالقادر عودة المعروف لديكم الذي من مؤلفاته: التشريع الجنائي، وله الرسالة التي تهم الشباب المسماة: «الإسلام بين عجز علمائه وجهل أبناءه» مرّت محنتهم قُتل ستة ثم ثلاثة منهم.

هذا ونرجو الله أن يعاملنا بعفوه، وأمامهم ومن قتلهم حكم عدل سيقفون معه أمام الله، والناس يبعثون على نياتهم.

* بعد هذا عندنا الجماعة الإسلامية ومعروفٌ المودودي الذي أسسها، وبدأها وانطلقت وانطلقوا بها وعندما ألف كتابه: «الجهاد في الإسلام» الذي قيل إنه بعث الحركة الإسلامية في النفوس في شبه القارة الهندية بل في غير العرب لما ترجم لهم، فهذه الجماعة معظمها الآن لها وجود ولها أمم وتدخل الانتخابات وتعمل وتدعو إلى الله معطية المسلمين وجه الإسلام في بلدانهم وفي غيرها بقطع النظر عن إساءة شخص أو شخصين، وضع الجماعة الإسلامية الآن في الساحة إنها جماعة تدعو إلى الله وإلى عموم الكتاب والسنة، والملاحظات عليها في جملتها ليس هناك ملاحظات ظاهرة لها صلة بالاعتقاد في الجملة، وإنما هي دعوة إلى الله، ومؤسسها فاضل خيّر معروف بكتبه وجهاده واعتقل مراراً ودخل وخرج إلى أن لقي ربه ـ رحمه الله ـ في عام ١٣٩٩هـ.

* جماعة بدأت في تركيا وليسمح لي البعض لو دخلت هذا المدخل بدأت في تركيا على يد مؤسسها بديع الزمان سعيد النورسي، هذا عالم فاضل مفكر ويدعو الناس إلى إصلاح النفوس وتحري الإيمان ويحاول أن يبتعد عن السياسة، ولكنه ابتلي أيام حرب الحلفاء على أستانبول، وجاهد وناضل وصار له مواقف في تلك المواقف جهاده جهاد عظيم، لما تمت الإطاحة من قبل الحلفاء وأعوانهم من الأتراك بالسلطان عبدالحميد بدأ يؤسس حزبه واشتغل واتهم مراراً قُتل قرابة تسعة عشر من خيرة أصحابه مرة واحدة، وسُجن وحُكم عليه بالإعدام وعُفي عنه، وسُجن وسُجن، ودعوته لا تزال سارية، وقد توفي رحمه الله قبل قرابة عشر سنوات، هذا بديع الزمان سعيد النورسي، لكن دعوته في تركيا يعرف هذا من له صلة ويقرأ مثل البيان ومثل المجتمع ومن لهم صلة بالندوة العالمية للشباب، لهم صلة في الدعوة في الخارج، لهم صلة بالرابطة، لهم صلة بالحركات الشبابية يعرفون أن دعوته هذه

وجدت في عهد أقسى عهد يعني وجدت بعد الإطاحة بالسلطان، وبعد أن أعلن والله أتحاش أن أقول ـ كمال ـ أتاتورك أن أعلن إبعاد المحاكم وفرض على مجلس الأمة في تركيا، واستبعد الشرع بتاتاً محاكماً وأذاناً وقرآناً من المدارس، وكل الأشياء العلمية المعروفة في تاريخ المسلمين وفي تاريخ تركيا قرابة عام ١٩٢٤م، بعد هذا صار يشتغل في هذا الظرف القاسي، والعمل عندما تقسوا الظروف يضاعف أجره أكثر يا أخوه، وإن جاز الكلام ليس في هذه كما كان الجو قاسياً وغائماً حراً أو برداً كان الأجر أكثر، واشتغل رحمه الله وحارب ولكن دعوته لاتزال سارية، وقد انبعث عنها عدة أحزاب كما يقول بعض من يكتب عنهم منها والله أعلم حزب السلامة المعروف الآن والذي صار له ما صار في الأيام الماضية ومؤسسه نجم الدين أربكان المعروف ولا يزال حي هذا الذي دخل مجلس الأمة ودخل معه وزراء لما كاد أن يقلب الوضع رأسًا على عقب جاءت ثورة تركيا الموجودة برئاسة (كنعان) وأدخل السجن وحوكم وطُلب أن يُعدم وسنة بعد سنة وخُفف عنه لكن دعوتهم لاتزال سارية، حملوا دعوة الإسلام وحملوا الفكر الإسلامي وناضلوا وجاهدوا ولعلهم ممن جاء فيهم والله أعلم: «يقاتلون على أمر الله»[1] لعلهم من هؤلاء.

* من الجماعات ذات الأثر أيضاً: جماعة أنصار السنة في مصر وفي السودان، هذه تركز إصلاح المعتقد ولا يزال لها اتساع، والله أعلم أن المدرسة السلفية اليوم المنتشرة في مصر أنها متتلمذة على عقيدتها وقد تكون أخذت من الإخوان التحرك ومن أنصار السنة المعتقد ومن الجمعية الشرعية جوانب أخرى، ولكنها والله أعلم أرجى الجماعات لإصلاح المعتقد وإقامة السنة وهي منتشرة الآن يحملها شباب من نوعية تُحب ومن نوعية مثقفة وهذه ذات أثر عظيم الآن في الأمة في مصر وفي غيرها من البلدان الأخرى.

---

(١) تقدم تخريجه.

من الآثار الآن ننتقل إلى عهد الجهاد الأفغاني يا إخوان يعني قبل سنوات وليسمح الوضع القائم قبل ثلاثين سنة أو أربعين سنة يعني راية الجهاد أو اسم جهاد يكاد أن يكون ميتاً في الذكر وفي النفوس إلا عند من شاء الله في الواقع من شاء الله بتحركهم المحدود انطلقوا.

أحسب أنه خيم الفتور وغالباً أن القصص تحرك ولا تفتر، ليس المقصود أن نستعرض قصص أمثال هؤلاء ولا أن نتسلى بقصص مثل هؤلاء وإنما المقصود إذا مرت بنا سيُرهم أو قصصهم أن نحاسب أنفسنا وأن نأخذ بعموم قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام: ٩٠].

وأن نفكر ونعرف كأننا معهم في الحياة مكان المنعزل عن الأمة المنقبع أم مكان المشارك المجاهد الذي يرجو أن يكون مثل هؤلاء، لنعرف مكانتنا في كل صلاة من صلواتنا يقول واحدنا اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم، هذا الكلام يجري على ألسنتنا هل وعيناه حقاً؟ وهل صدقنا في هذا الطلب حقاً؟ وهل أحسسنا بأن تحلق أنفسنا يوماً ما مع تحقق هذا الطلب لها: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ من هم المنعم عليهم الذين تسأل الله أن تنضم معهم وأن تأخذ مكانك معهم الذي يجري على لسانك في كل صلاة أن تسأل الله أن تكون معهم أن يهديك صراطهم، هؤلاء هم من قال الله فيهم: ﴿**من يطع الله والرسول**﴾ يجب أن نعي ما نقول وأن إذا طلبنا أمراً أن نطلبه حاسين بحاجتنا إليه راغبين أن نكون من أهل هذا الشأن: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**﴾ هؤلاء الذين تسأل الله أن يهديك صراطهم: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾ [النساء: ٦٩].

فالمنعم عليهم الذين تسأل الله أن يهديك صراطهم هم هذا النوع من الناس والمؤهلات والمواصفات هي قبل ﴿**ومن يطع الله**﴾ وأفضل الطاعات وأجل الطاعات

هي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى التي هي مهمة صفوة الأمم، الدعوة إلى الله إلى سبيل الله لا إلى نعرات إقليمية ولا إلى نعرات جاهلية ولا إلى نعرات وطنية . . إلى الله إلى سبيل الله أعظم الطاعات وأجل الطاعات وأقرب الطاعات التي تجعلك في مصافهم في الدنيا وفي منازلهم في الأخرى، أن تدعو إلى الله دعوة الصادقين المخلصين، دعوة العلماء الذين على بصيرة، دعوة الصابرين المحتسبين، دعوة من يبتغي بعمله وجه الله يقول الله تعالى: ﴿**ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا**﴾ [فصلت:٣٣]، ويقول ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»[(١)]، ويقول ﷺ: «من دل على خير كان له مثل أجر فاعله»[(٢)].

فالطريق في أن يتحقق لك ما تطلبه أن تسأل عن طريق هؤلاء، وتسلك سبيلهم، وتشاركهم في الأعمال لعل الله أن يلحقك بهم في الممات في مكان الجزاء عند الله، مما يجعلك تلحق بهم أن تسلك بعملك مسلك الشمول والعموم والنفع المتعدي.

أنا أنصح دائماً وأكرر نصحي لمن يريد أن يعز ويسعد ويبقى ذكره ويبقى له لسان ذكرٍ في الآخرين ويستمر عليه أجره بعد مماته ويكون إمام ذكر في حياته وبعد مماته أن ينهجوا بأعمالهم نهج العموم والشمول في مثل الأمر بالمعروف، في الدعوة إلى الله، في إصلاح الوضع، في إصلاح ما فسد، يقول الله تعالى: ﴿**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جيمعا**﴾ [المائدة:٣٢].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير (ح ٣٠٠٩)، ومسلم (٤/ ١٨٧٢ ح ٢٤٠٦) عن سهل بن سعد، وعن سلمة بن الأكوع رواه البخاري (ح ٢٩٧٥)، ومسلم (٤/ ١٨٧٣) ، وعن أبي هريرة رواه مسلم (٤/ ١٨٧١، ١٨٧٢).

(٢) رواه مسلم كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله . . . (٣/ ١٥٠٦ ح ١٨٩٣)، ورواه الترمذي أبواب العلم، باب ما جاء أن الدال على الخير كفاعله. تحفة (٧/ ٣٤ ح ٢٨٠٩).

هذه وصيتي أيها الإخوة هي أكرر أن ننهج بأعمالنا نهج الشمول ونهج النفع المتعدي ونهج المشاركة للأمة، يقول الرسول ﷺ: «إن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[1]، ويقول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»[2]، فلابد لامرئٍ أن يأخذ طريقه في مثل هذه الأمور. يجوز أن أكون أطلت عليكم واستسمحكم.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ونسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين في الدنيا والآخرة.

★★★★★

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب الذي يصبر على أذى الناس (ح ٣٨٨)، والترمذي في صفة القيامة، باب رقم ٢٠ (ح ٢٦٢٥)، وابن ماجه في الفتن باب الصبر على البلاء (ح ٤٠٣٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٣).

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة (٤/ ٢٠٥٢ ح ٢٦٦٤).

إلى خطباء الجمعة

كتبت في: ٣/١/١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى إخوتي في الله خطباء الجمعة ونحوها :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأحمد إليكم الله تعالى وأصلي وأسلم على رسوله محمد بن عبدالله وبعد:

فتعلمون ـ وفقكم الله ـ أهمية خطبة الجمعة ومكانتها بين العبادات وما يتطلب ويتأكد فيها من إحياء وإظهار ما شُرعت له من عظة القلوب وملامسة المشاعر التي أُمرت هي من جانبها أن تتهيأ قلباً وقالباً جسماً وروحاً لاستماع الخطبة، الأمر الذي كمالُه المطلوب وتمامُه الواجب الجاذب للقلوب والشاحذ للهمم أن يكون الواعظ فيه قد اتعظ والأمر قد ائتمر، وأول ما يُتطلب الاتعاظ به في هذا الأمر حمايتها وحفظها من أن يتطرق إليها أو إلى شيء من أجزائها ولو ألفاظ الدعاء فيها ما ينقص الإخلاص فيها ويضعف التقبل لها، وأن تكون وفق منهجه صلوات الله وسلامه عليه فلا يخرج بها عنه.

وبتتبع منهجه صلوات الله وسلامه عليه نجد أن خطبه مليئة بالثناء على الله وبتعظيمه وبتذكير الناس بآلائه عليهم بل وبآيامه وسننه فيهم ثواباً وعقاباً.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في ذكر خصائص يوم الجمعة "الثانية والعشرون" : أن فيه الخطبة التي يُقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة، وتذكير العباد بأيامه، وتحذيرهم من بأسه ونقمته،ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنانه، ونهيهم عن ما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها[1].

---

(١) زاد المعاد (١/٣٩٨).

ومن هنا يُعلم أن مـا بدأ يظهر في خطب الجمـعة في عالمنا المعاصـر من تقليل الثناء علـى الله فيـها بحيـث يكاد يقف القول فـيه في بعـض الأحيان عنـد أقل ما يجب، بل ومن جعلها في بعض الأحيان مادة للثناء على أقوام بأعيانهم أو النيل من أقوام كذلك بأعيانهم أمرٌ مخالفٌ لما كـان عليه صلوات الله وسلامه عليه، وما كان عليه اتباعه بإحسان رضي الله عنهم وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وخذوا مثلاً للمقـارنة فيما يتعلق بالتركيز في خطب الجـمعة ونحوها على الثناء على الله سبحـانه والارتباط فيها بمضـمون ما شرعت له مما أجمله ابن القـيم رحمه الله: خطب ابن القيم نفسـه في مقدمات كتبه المنبيء عن منهـجه في الخطب رحمه الله، وخطب الشيخ محمد بن عبدالوهـاب رحمه الله المطبوعة ونحوهما، وخطب بعض الناس اليوم وما طرأ عليها في بعض الأحيـان، وقارنوا بينها أخذاً في الاعتبار البحث عـن روح التوحيـد الخالص؛ لتروا أن أولئكـم رحمهم الله لـم يسودوا ولم يؤموا ولم يبقوا بيننا بذكرهم المعطر للمجالـس بتسخير أقلامهم وخطبهم في مواقف عبادة محضة للثناء على المخلوقين وإنما للثناء على خالق المخلوقين.

ولاشك أن ذلك إدراك منهم رحمهم الله لروح التوحـيد ولمراد الله سبحانه في قوله: ﴿**فاسعوا إلى ذكر الله**﴾ [الجمعة: ٩].

وفسـر الذكـر بالخطبـة، ويشهـد له حديث: «وحـضرت المـلائكة يسـتمـعون الذكر»[1]، وفسر بالصـلاة، ولا مشاحة فالأمـر بالسعي للخطبة أمـر بالصلاة، ولن تكون الخطبة بالمعنى المطلوب الذي يصدق عليـه أنه في جملته ذكر إذا تضمنت مدح أقوام بأعيـانهم أو ذم أقوام بأعيانهم، ولذا كـان بعض السلف رحمهم الله يسـتسيغ لنفسه الكلام أثناء خطبة خطيب الجمعة إذا خرج فيها عن مقتضاها.

---

(١) رواه البخاري فتح (٢/٤٠٧ ح ٩٢٩)، ومسلم (ح ٨٥٠).

قال صاحب المغني رحمه الله: «وكان سعيد بن جبير والنخعي والشعبي وإبراهيم بن مهاجر وأبو بردة يتكلمون والحجاج يخطب وقال بعضهم: إنا لم نؤمر أن ننصت لهذا»[1].

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: فإن قلت كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها غير ذلك؟ قلت: ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله؛ فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فهو من ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل[2] ا.هـ.

ولا جرم، أن يخرج هذا النفس من هذا العالم الجليل، فإن أمراً جعل شرطاً لصحة صلاة الجمعة واعتبر جزءاً من مجموعها، ومعلوم وجوبها العيني أنه يتعين الاهتمام به وحمايته وأداؤه وفق المشروع كي لا يتطرق إليه نقص فينسحب نقصه عليها.

فيا إخوتي في الله القائمين على هذا الثغر العظيم، ثغر توجيه وإبلاغ وإمامة وشهادة على الناس يوم يقوم الأشهاد، اعرفوا لهذا الموقف حقه واذكروا به موقفكم أمام الله يوم تُستشهدون على الناس، اسلكوا فيه الطريق السوي الذي لا غلو فيه ولا جفاء، فاستعمال الخطبة للنيل من أقوام بأعيانهم خروج بها عن الوسطية المطلوبة فيها، والمبالغة فيها بالثناء على أقوام بأعيانهم خروج كذلك عن الوسطية المطلوبة فيها.

قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: «صليت ـ يعني الجمعة ـ مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً»[3].

---

(١) المغني (٢/ ٣٢٠)، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) تفسير القرطبي (١٨/ ١٠٧)، طبع دار الكتاب العربي.

(٣) صحيح مسلم (ح ٨٦٦).

والقصد الاعتدال؛ فالمطلوب في خطب الجمعة ونحوها على وجه التقريب والتمثيل أن يختار الخطيب أوصافاً وأعمالاً فاضلة مما وُصف به المؤمنون في القرآن الكريم والسنة المطهرة فيحث فيها ويرغب فيها، أو أوصافاً ذميمة وأعمالاً سيئة من أعمال وأوصاف الكفار أو المنافقين أو فجار المسلمين فيحذر وينذر منها، أو منكراً ظاهراً فيذكره بأوصافه دون تسمية أهله في مثل المقام المشترك في التقرب به إلى الله بين المتكلم فيه والمستمع له مبتعداً في لفظه عن وحشي الكلام ومبتذله، بادئاً بتقرير وبيان التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وبيان ما يناقض أصله أو كماله الواجب، فأصول الإيمان وأركان الإسلام فالفضائل والمسائل، وبإمكانه أن يربط الموضوع الذي يريد علاجه بتلك الأوصاف لا بأعيان أهله كما فعل ﷺ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني بريرة، فقالت: إني كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية، فأعينني، فقالت: إن أحب أهلك أن أعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت، فذهبت بريرة إلى أهلها، فقالت لهم فأبوا عليها، فجاءت من عندهم ورسول الله ﷺ جالس، فقالت: إني قد عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع النبي ﷺ فأخبرت عائشة النبي ﷺ فقال: «خذيها واشترطي لهم الولاء، فإنما الولاء لمن أعتق» ففعلت عائشة رضي الله عنها، ثم قام رسول الله ﷺ في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالى؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن كان مائة شرط، قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق»[1]. متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وليعلم أن هذا التوبيخ لأشخاص في مخالفة قد لا تعد كبيرة، أما في الكبائر الشرك فما دونه فقد قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا خطب أحمرَّت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول:

(١) رواه البخاري فتح (٥/ ١٨٥ ح ٢٥٦٠)، ومسلم (ح ١٥٠٤).

صبحكم ومساكم»[1].

وفي باب الكبائر وما ذكره العلماء حولها مادة واسعة للخطباء عند ظهور أي منكر، فلا يكاد شيء من المنكرات الظاهرة يخرج عنها، وخذوا مثلاً كتاب الكبائر للذهبي رحمه الله، وكتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وكتاب الترغيب والترهيب للمنذري رحمه الله ونحوها، وما أسلفته من انتقاء الأوصاف الممدوحة من الكتاب أو السنة والحث عليها، أو المذمومة والنهي عنها، وربط الموضوع المراد علاجه بها لا بأسماء أو أعيان أهلها كما سلف.

فلنأخذ بهذا المنهج العظيم الذي شرعت له الخطبة، من تعاهد الناس بين الفينة والأخرى بالتذكير والتبصير، بل والتعرف على مشاكلهم وأمراضهم، أمراض شهوة أو شبهة لمحاولة علاجها بما جعله الله دواء وشفاء لها في قوله سبحانه: ﴿**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون**﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته

★★★★★

(١) رواه مسلم (ح ٨٦٧).

رسالة في الإسبال

(تحرير مسألة رفع الإزار إلى نصف الساق ..)

كتبت في: ١٧/٣/١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

فقد وُجه إليّ السؤال الآتي مراراً وتكراراً :

- هل قوله ﷺ: «إزرة المسلم إلى نصف الساق... الحديث»[1] غاية للرفع المأمور به أو نهاية له ـ أي حد للرفع المأمور به من أعلى ـ ؟

فأجبت عنه بما رأيت فيه إعمالاً لأحاديث الموضوع جميعها، ولتكرر ذلك أحرر رأيي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب:

الذي أفهمه ـ والعلم عند الله ـ أن المقصود من النصوص الحديثية الواردة في رفع الإزار إلى نصف الساق هو مطلق الرفع عن الكعبين، وأن قوله ﷺ: «... إلى ... نصف الساق» في حديث أبي سعيد رضي الله الله عنه[2]، وضربه بأربع أصابع تحت ركبة عمرو بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه الذي رآه مسبلاً، وقوله له: «هذا موضع الإزار» ثم ضربه بأربع أصابع أخرى تحت الأربع وقال: «يا عمرو! هذا موضوع الإزار»[3].

ومعلوم أن هذا أرفع من النصف، وقوله ﷺ لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما لما رأى في إزاره ارتخاء: «يا عبدالله! ارفع إزارك فرفعه، ثم قال: زد فزدت... الحديث»[4]، وقوله في رواية للترمذي: «فلا حق للإزار في الكعبين»[5]، وفي

---

(١) يأتي تخريجه.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩١٤، ٩١٥)، وأبو داود (٤٠٩٣)، وابن ماجه (٣٥٧٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٠٠).

(٤) رواه مسلم (٢٠٨٦).

(٥) سنن الترمذي (٣/ ١٥٧، ح ١٨٤٣).

رواية للنسائي: «لا حق للكعبين في الإزار»[1] نهايةٌ للرفع المطلوب، لا أن الرفع إلى نصف الساق أو إلى ما تحت الركبة بثمان أصابع هو الغاية المطلوبة المتوقف حصول أجر الرفع عليها، وذلك لما يأتي:

أولاً: الأحاديث الواردة بالرفع ما أشرت إليه منها وما لم أشر إليه جاءت مقترنة بالنهي عن الإسبال، مما يدل على أن الرفع عن منطقة الحظر هو الغاية المقصودة.

ثانياً: روى الإمام أحمد رحمه الله في المسند[2] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإزار إلى نصف الساق؛ فلما رأى شدة ذلك على المسلمين قال: إلى الكعبين لا خير فيما أسفل من ذلك». ورواه الطبراني في الأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح.

وروى أبوداود عن عكرمة أنه رأى ابن عباس يأتزر فيضع حاشية إزاره من مقدمه على ظهر قدمه ـ قدميه ـ ويرفع من مؤخره، قلت: لم تأتزر هذه الإزرة؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ يأتزرها»[3]. إسناده صحيح.

وفي هذين الحديثين القولي والفعلي وما يفهم من قول أبي بكر رضي الله عنه: إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهده[4]، وهو الملازم للرسول ﷺ أنه ما كان يرفعه إلى نصف الساق، لأن ما كان كذلك يبعد في حالة الارتخاء أن يصل إلى المحظور، ما يدل على أن الرفع عن منطقة الحظر هو المقصود المرتب عليه الأجر كما أسلفت.

---

(١) سنن النسائي المجتبى (٨/٢٠٦ ، ٢٠٧).

(٢) المسند (٣/ ١٤٠).

(٣) سنن أبي داود (٤٠٩٦).

(٤) رواه البخاري (٥٧٨٤)، وأبو داود (٤٠٨٥)، والنسائي (٨/٢٠٨).

قال الطيبي: في نصوص الموضوع وعمومها يشعر بالتوسعة [1].

ثالثاً: من الناحية اللغوية حديث: «إزرة المسلم إلى نصف الساق» إزرة: بالكسر اسم هيئة مبتدأ، وخبره الجار والمجرور، ومتعلقه تقديره: منتهية؛ لا يجوز غيره فيما يظهر لي.

وبالله التوفيق وصلى الله على عبده ورسوله محمد

★★★★★

(١) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٨/ ٢١٤) منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، ولفظه قوله: «إلى أنصاف ساقيه» إنما جمعهما ليشعر بالتوسعة لا التضييق.

حكم نقل ماء زمزم

كتبت في: ١/٦/١٤١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين وبعد :

فقد وُجه إليّ السؤال الآتي :

هل خاصية ماء زمزم مرتبطة به في مكانه أو توجد حيث وجد؟

ولتكرار السؤال وتوسّع كثير من الناس في هذا المجال أجيب بما يأتي تحريراً للرأي لا تأليفاً في الموضوع.

فأقول: وأسأل الله السداد في القول:

روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس: يا فضل! اذهب إلى أمك فأت رسول الله بشراب من عندها؛ فقال: اسقني قال: يا رسول الله! إنهم يجعلون أيديهم فيه، قال: اسقني، فشرب منه، ثم أتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال: اعملوا فإنكم على عمل صالح، ثم قال: «لو لا أن تغلبوا لنزلت حتى أضع الحبل على هذه يعني عاتقه»[1].

وروى مسلم رحمه الله عن جابر رضي الله عنه في حديثه الطويل في صفة حج النبي ﷺ قال: ثم ركب فأفاض بالبيت وصلى بمكة الظهر وأتى بني المطلب يسقون على زمزم فقال: «انزعوا بني المطلب فلو لا أن تغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلواً فشرب منه»[2].

---

(١) صحيح البخاري (فتح) (٣/ ٤٩١ ح ١٦٣٥).

(٢) صحيح مسلم (٢/ ٨٨٦ ح ١٢١٨).

فهذان الحديثان صريحان بأنه ﷺ جاء إلى زمزم في محله في وقت يُتداول فيه ذلك الماء في مكة مما يفيد أن خاصيته وآثاره التي ذكرها ﷺ بقوله: «ماء زمزم طعام طعم»[(١)]، وقوله: «طعام طعم وشفاء سقم»[(٢)]، وقوله: فيما روى عنه: «ماء زمزم لما شرب له »[(٣)]، وعدم ثبوت النقل لهذا الماء عنه ﷺ ـ فيما أعلم ـ إنما يحصل ـ والله أعلم ـ لمن شربه طازجاً في محله في نسك وهو أرجى، أو في غير نسك، لا لمن نُقل إليه في طرف من أطراف المعمورة.

لهذا ولما هو معلوم ما لذلك المكان من قدسية ومضاعفة لأجر العامل به، وما يوجد من روحانيةٍ كثيراً ما يزداد بها الإيمان، ويقوى بها التوجه إلى الله ويُشاهَد به تأويل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾ الحج: ٢٦]، وقوله: ﴿ **وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** ﴾ [البقرة: ١٢٥] جاء ذلكم الترغيب ـ والله أعلم ـ فليتأمل ولتؤخذ السنن متكاملة.

وما في أحاديث حصول الأثر من عموم أو إطلاق مقيدٌ ومفسرٌ بفعله ﷺ الذي هو بيان لقوله، وبما يُرجى أن يحدثه هذا الجو في نفس الشارب من تهيئة للانتفاع وإبعاد لموانعه.

قال الشوكاني: وما قيل إن الشرب جبلي، مدفوع بأن القصد إلى ذلك المحل والأمر بالنزع[(٤)]، وكلام ابن القيم عن ذلك في "زاد المعاد" يُشعر بأن أثره إذا شُرب

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٢٢ ح ٢٤٧٣).

(٢) رواه البيهقي (٥/ ١٤٧)، والبزار (كشف) (٢/ ٤٧ ح ١١٧١، وصدره في مسلم (٢٤٧٣).

(٣) رواه ابن ماجه في المناسك: (٢/ ١٠١٨ ح ٣٠٦٢)، قال السيوطي: هذا الحديث مشهور على الألسنة كثيراً، واختلف الحفاظ فيه؛ فمنهم من صححه، ومنهم من حسنه، ومنهم من ضعفه، والمعتمد الأول.

(٤) للفضيلة لا للحاجة، نيل الأوطار (٥/ ٩٤).

في مكانه[1].

وذكر ابن حزم حديث جابر المذكور، وحديث ابن عباس: قدم رسول الله ﷺ على راحلته وخلفه أسامة فاستقى، ثم قال: قال أبو محمد: قال الله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾.

أما ما ذكر الشيخ القرضاوي في كتابه: "فتاوى معاصرة" الذي يباع في مكتبات السعودية وغيرها: أنه لا قدسية ولا مزية لهذا الماء ولا سنية لشربه في الحج، فمردود بما سبق.

وبالله التوفيق

*****

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٩٢).

★ **فائدة:** حديث أن عائشة رضي الله عنها كانت تنقل ماء زمزم. رواه الترمذي والحاكم والبيهقي من حديث عروة عنها، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «التلخيص» (٢/ ٢٨٧): وفي إسناده خلاد بن يزيد وهو ضعيف، وقد تفرّد به فيما يُقال.

صفة قنوت النوازل

كتبت في: ١٨/٧/١٤١١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

فقد طلب مني أحد الإخوة ـ جزاه الله خيراً ـ أن أحرر رأيي في بيان الصفة المشروعة في قنوت النوازل، نظراً لتوسع كثير من الأئمة في ذلك؛ فأقول وبالله التوفيق :

السنة في قنوت النوازل أن يقتصر الداعي فيه على ما يناسب النازلة فقط، فقد جاءت الأحاديث عن المصطفى ﷺ بذلك، ومن طلبها وجدها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... كما أن النبي ﷺ لما قنت[1] أولاً على قبائل بني سُليم الذين قتلوا القراء دعا عليهم بالذي يناسب مقصوده، ثم لما قنت يدعو للمستضعفين[2] من أصحابه دعا بدعاء يناسب مقصوده؛ فسنة رسول الله ﷺ تدل على شيئين:

أحدهما: أن دعاء القنوت مشروع عند السبب الذي يقتضيه ليس سنة دائمة في الصلاة.

الثاني: أن الدعاء فيه ليس دعاءً راتباً، بل يدعو في كل قنوت بالذي يناسبه، كما دعا النبي ﷺ أولاً وثانياً، وكما دعا عمر وعلي رضي الله عنهما لما حارب من حارب في الفتنة فقنت ودعا دعاء يناسب مقصوده[3]. ا هـ.

هذا هو سنة قنوت النوازل، أما ما يفعله بعض الأئمة من التزام الإطالة في الدعاء إطالة يربو زمنها على الزمن الذي قضيت فيه الصلاة جميعها أو حتى على

---

(١) رواه البخاري في الوتر (٢/٤٠٨)، ومسلم في المساجد (٦٧٧).

(٢) رواه البخاري في تفسير آل عمران (٨/ ١٧٠)، ومسلم في المساجد (٦٧٥).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/١٠٩).

زمن القيام فيها أو التشهد فهو مخالف لسنته ﷺ، فعن البراء رضي الله عنه قال: كان ركوع النبي ﷺ وسجوده وبين السجدتين وإذا رفع من الركوع ما خلا القيام والقعود قريباً من السواء[1].

واعرض على هذا وعلى الألفاظ الواردة في دعائه في النوازل ما يفعله بعض الأئمة من قراءة آيتين أو ثلاث في الوتر أو غيرها عند النوازل، ثم يأتي بعده بشبه محاضرة لترى موافقة هذا العمل للسنة أو مخالفته.

وأما استعمال السجعات والكلمات المنمَّقة التي تشد الداعي ألفاظها أكثر مما تشده معانيها، أو الإتيان بأنواع من الأدعية خارج النازلة، أو التزام دعاءٍ معين غير وارد فيها يكرر فيه كتكرير الواجب في الصلاة من الأقوال؛ فهذا لا يجوز وحريٌ أن تبطل صلاة من عرف هذا الحكم من مظانه ومصادره وخالفه، وحريٌ أن لا يستجاب معه دعاء، لما هو معلوم أن الدعاء هو العبادة، وأن أي عبادة ما لا تكون صحيحة ولا نافعة إلا إذا توفر فيها الإخلاص والمتابعة وصدرت من مؤمن، ولما ذكره العلماء من ضرورة التقيد في الأقوال التي تقال في الصلاة بما ورد إلا ما وُسِّع فيه كالدعاء في السجود وكالدعاء بعد التشهد وقبل السلام وكالدعاء في النازلة بما يناسبها، هذا البيان في القنوت في الفرائض عند المقتضى الشديد.

أما في الجمعة فلا أراه لأمرين:

أولهما: أن فيها محلاً للدعاء وهو الخطبة التي دعا واستسقى فيها ﷺ، فالدعاء فيها ظاهرة فيه المتابعة أكثر من القنوت فيها.

ثانيهما: أنه ﷺ قنت في بعض الفرائض شهراً[2] وترك، وسُميت الصلوات التي قنت فيها، ومعلوم أن في الشهر أربع أو خمس جمع وأن سبب القنوت قام

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري في صفة الصلاة (٢/٢٢٨)، ومسلم (٤٧١).

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (١٤٤٣).

لديه ولم يقنت فيها ولو فعله لنُقل كما نُقل غيره، ولو قيل ببدعية القنوت فيها وبدعية التجاوز في دعاء قنوت النوازل عما ورد لكان له وجه.

وأخيراً أذكر بأن تنميق وتحسين الدعاء من أجل الناس أو التحري فيه لإرضاء فلان أو علان داخل تحت طائلة ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى، قال: «الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل»[1].

*****

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٠)، وابن ماجه (٤/ ٤٢٠٤)، وانظر تيسير العزيز الحميد صـ ٥٣٢.

حكم تحديد المهور

رسالة موجهة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله

كتبت في: ١٣٨٤/٣/٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم .....
التاريخ .....
المشفوعات .....

ديوان المظالم

سماحة الوالد الكبير الشيخ محمد بن إبراهيم حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: أطال الله عمرك في استقامة، وما قبله لقد سعدت وسر غيري بالمشروع الذي تبنيناه سماحتكم والشيوخ حمد العلي المهوس، والحقيقة أنه لمسلمين سلم نزاله ويحفظ ذا أمواجه بحمد الله بس ما سعدت ولا تألم لذلك هم. وأنه الحمد عانينا مشاكل المسلمين في محاولة إيجادهم أول العلم حضور الدين الميسر والتطبيق. وتنادوا على البدء التعويد كما هو معلوم وازدادوا بدلوب والعلم تطلبوا ذلك مني وأنه المطاع على ما أرجو أن أهو أداء أطاع الله الذي صلاني إياه أم غيره ذلك فسماحة الوالد فالذي أريده سماحة أهو أداء أطاع الله الذي أنه شيخ نور بالإسلام الوضاء قبل ٢٩ عام وهم معاقرون على عدم التحديد لأعلى المهر وفي لبس بالشيء الكثير مرتفع اليسر كما في أدلة هذا الحديث زوج ليس في إسناده وقد قال صاحب المنتقى بعد الذي رواه أبو داود وكفوه إياه. المنتقى دون سنده وقد قال صاحب المنتقى بعد ذكر الحديث ما لفظه أخرج أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم وفيه دليل على أن المهر لا حد لأكثره خلافاً لمن توقف فيه إجماع أهل العلم. ودليل المتقدمة أحد من المسلمين يدعي أنه سيأتي بأهدى مما توفي عليه رسول الله ﷺ وزوج إليه المسلمين بعده. ثانياً: أنه شاكل الزواج وبدأوا كساد النساء بغلاء المهور وسادت بين فتياتنا كثرة المهر بحسب الظن شاكل أخرى يعلم سماحتكم. ثالثاً: أن وضع حد أعلى للمهر خطأ شاكل عظمى لأن علم مدى خطورته وفاسد هذا الأمر الله سبحانه فإنه أطلق ذلك بدون حماية كفيلة لست الزامية تحصيل المهر الكبير فإنه وضع لم حمايتين. ومن أين تؤخذ فتى أعفاه مريد ذبذبة الإسلام وهو محاولة التوسع في سوء الفوائد المعبر عنها بالورطة وأتباعكم عمل هذا مجمع على ذلك. فأرجو من سماحتكم الوالد رجاء أن صح عبارة أني في ذلك النظر فيما للإجماع من حرفه. وفي إرفاق الفتاوى حول الموضوع وعبارة رأيي في ذلك وتحكم الإجماع وفقنا ما سألته إجابة الحضرة الإمامية والله يحفظكم الموضوع الكبير المخالف فما وافق الحق

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الوالد الكريم الشيخ محمد بن إبراهيم حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أطال الله عمرك في استقامة وعافية، لقد سمعت وسمع غيري بالمشروع الذي تبناه سماحتكم وهو وضع حدٍ أعلى للمهور، والحقيقة أن المسلمين لايزالون بخير مادامو يجدون من يحس بأحاسيسهم ويتألم لآلامهم، وإن البحث في مشاكل المسلمين ومحاولة إيجاد حلولٍ لها على ضوء الدين لفضيلة وتعاون على البر والتقوى كما هو معلوم.

وإدلاءً بدلوي وإن لم تطلبوا ذلك مني، والله المطلع على ما أردت أهو أداء أمانة العلم الذي حملني إياه أم غير ذلك، فسماحاً أيها الوالد فالذي أريد أن أسجله هو:

أولاً: أن المسلمين منذ أن شع نور الإسلام الوضاء قبل ١٣٩٥سنة وهم سائرون على عدم التحديد لأعلى المهر، وفي الدين ما يشير إلى الكثير عرفاً مع اليسر كآية: ﴿**وآتيتم إحداهن قنطارا**﴾ [النساء: ٢٠]، وكحديث زوج النبي ﷺ أم حبيبة الذي رواه أبو داود[١]، وكعموم آية: ﴿**لينفق ذو سعة من سعته**﴾ [الطلاق: ٧]، وقد قال صاحب المغني في (٤/ ٦٨١): وأما أكثر الصداق فلا توقيت فيه بإجماع أهل العلم[٢].

---

(١) روى أبو داود عن عروة عن أم حبيبة أنها كانت تحت عبيدالله بن جحش فمات بأرض الحبشة، فزوّجها النجاشيُّ النبيَّ ﷺ، وأمهرها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة .. سنن أبي داود، كتاب النكاح (٢١٠٧، ٢١٠٨)، والنسائي (٦/ ١١٩).

(٢) المغني (١٠/ ١٠٠)، ط/الأمير تركي بن عبدالعزيز ١٤١٠هـ.

ولا أعتقد أن أحداً من المسلمين يدّعي أنه سيأتي بأهدى مما توفي عليه رسول الله ﷺ ودرج عليه المسلمون بعده.

ثانياً: إن مشاكل الزواج وبدو كساد النساء في بعض الأوساط ليس منشأه كثرة المهر فحسب، بل هناك مشاكل أخرى يعلمها سماحتكم.

ثالثاً: في وضع حدٍ أعلى للمهر مشاكل عظمى لا يعلم مدى مفاسدها إلا الله سبحانه، فإن أُطلق ذلك بدون حماية كفتيا ليست إلزامية فمصيره الترك، وإن وضع له حماية ـ ومن أي تؤخذ ـ ففي إمكان مريد المهر الكثير التخلص من ذلك.

رابعاً: يعلم سماحتكم أن هناك خطراً كبيراً يجب أن يخافه ويدرأه كل مسلم وهو محاولة التوسع في سنن القوانين المعبر عنها بالأنظمة، وإتيانكم بمثل هذا يشجع على ذلك.

فأرجو من سماحة الوالد رجاء ناصحٍ ومشير أن يتأنى في ذلك وينعم النظر فيما للإجماع من حرمة، وفي الإمكان التماس حلول أخرى تخفف المغالاة وتحترم الإجماع.

وختاماً أسأل الله بأسمائه الحسنى أن يهديني وإياكم إلى الطيب من القول وإلى صراط الحميد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم

عبدالله بن حسن القعود

الاستسقاء

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

أيها الإخوة المؤمنون: كثيراً ما يستسقي المسلمون قديماً وحديثاً في هذه البلد وغيرها فلا يسقون في الحال، وربما أقاموا صلاة الاستسقاء مرة بعد مرة فلا يظهر معالم الاستجابة، فيُرى كثيرٌ من الناس ولا سيما من لم يترسخ الإيمان بالمغيبات في قلوبهم يخوضون في عدم الاستجابة وأسبابه غائباً عنهم أن ذلك غيب، والله سبحانه تعالى يقول: ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ [النمل: ٦٥].

فالاستسقاء دعاء، والمسلم مأمور بأن يدعو الله، والله أعلم وأحكم حيث يجعل أمره فقد يستجيب في الحال لحكمة، وقد يستجيب ويتأخر أثر الاستجابة لحكمة، وقد لا يستجيب أصلاً لحكمة، كما لم يستجب لنبيه محمد ﷺ في بعض الأحيان: ﴿ **ليس لك من الأمر شيء ...** ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

بيد أن هناك أموراً في سنة إقام صلاة الاستسقاء يشرع الأخذ بها لطامع في الإجابة وصادق في الاتباع، قد تكون سبباً في الاستجابة العاجلة منها:

١ - أن يقوم بالناس من اللأواء والشدة والقحط ما يشعرهم بالحاجة ويدعوهم للتضرع والإلحاح في الدعاء، أمثال الحال التي عبر عنها طالب الاستسقاء من رسول الله ﷺ بقوله: يا رسول الله هلكت الماشية، وهلكت العيال، وهلكت الناس[1].

وفي رواية له: وهلكت الكراع، وفي رواية غير البخاري: أن الأعرابي قال فيما قال: لقد جئتك من عند قوم لا يتزود لهم راع، ولا يخطر لهم فحل[2].

---

(١) رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه حديث رقم (٩٣٢).

(٢) رواه ابن ماجه رقم (١٢٧٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال البوصيري في الزوائد ح ٤١٢ صـ ١٩٠: قلت: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات روى أصحاب السنن الأربعة بعضه من حديث ابن عباس أيضاً.

٢ - ومنها أن يقدموا بين يدي استسقائهم طاعة عسى أن تكون شافعاً لهم عند الله، وأعظم ذلكم توبة نصوحاً من ذنوبهم، وخروجاً من مظالم العباد يُرى بهما تبديل المنكر الواقع في حياتهم معروفاً، والإساءة إحساناً، والإثم براً، والشر خيراً.

٣ - ومنها البعد كل البعد عن مظان التفاخر والرياء والسمعة والمظاهر الداعية إلى ذلك، فالموقف أشبه بموقف جنائز يبتعد به عن مظان ذلك، بل عن مظان أي عصيان فقد ثبت أن رسول الله ﷺ: «خرج متواضعاً متبذلاً متخشعاً متضرعاً»[١].

وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما خرج يستسقي طلب العباس بن عبدالمطلب من بين القوم، وطلب منه أن يدعو[٢]، وفعل مثل ذلك معاوية رضي الله عنه فطلب وهو على المنبر يزيد بن الأسود، وفعله بعده الضحاك بيزيد[٣] فقال له: قم يا بكَّاء. فلا تباهي في ذلك ولا رياء ولا سمعة ولا ما يسمى بمجاملات أو رسميات، ولكن خضوع وخشوع أمام من يعلم مايقوم بالقلوب وما تقصده النفوس؛ فلنتق الله عندما نقيم هذه الشعيرة، ولنأخذ بسننها متكاملة، وأهمها قيام سبب واضح يستشعره المستسقون، ولنتب إلى الله توبة نخرج بها من مظالم العباد صادقين في دعائنا مبتعدين عن موانع الإجابة، عسى الله أن يرحمنا ويستجيب دعائنا.

إنه سميع مجيب

---

(١) رواه أبو داود رقم (١١٦٥)، والترمذي رقم (٥٥٥) باب ما جاء في صلاة الاستسقاء، والنسائي (٣/ ١٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري عن أنس رقم (١٠١٠).

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في التلخيص (٢/ ١٠١): حديث أن معاوية استسقى بيزيد بن الأسود، أبوزرعة الدمشقي في تاريخه بسند صحيح، ورواه أبو القاسم اللالكائي في السنة في كرامات الأولياء منه. وروى ابن بشكوال من طريق ضمرة عن ابن أبي قال: أصاب الناس قحط بدمشق فخرج الضحاك بن قيس يستسقي فقال: أين يزيد بن الأسود؟ فقام وعليه برنس، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أي رب إن عبادك تقربوا بي إليك فاسقهم قال: فما انصرفوا إلا وهم يخوضون في الماء. وروى أحمد في الزهد أن نحو ذلك وقع لمعاوية مع أبي مسلم الخولاني. ا هـ.

إلى قادة الجهاد الأفغاني

كتبت في: ١/١١/١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الإخوة الكرام قادة الجهاد الأفغاني ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على رسوله محمد، وأهنئكم بما مَنَّ الله به على المسلمين عامة من خير على أيديكم، وفي مقدمته دحر الشيوعية الحمراء العفنة التي لا تؤمن برب ولا تحترم ما جاء الإسلام باحترامه من الضروريات الخمس وغيرها، والتي لاقى منها المسلمون الأمرَّين خلال الحكم الروسي الذي دُكت معاقله وفُرقت جموعه، وأعلن إفلاسه بسب جهادكم الميمون، ولاقت الجزيرة العربية وغيرها من الثورات القائمة بها على مبادئه العنت الكثير والشر المستطير الذي لا يزال من بُلي به يرزح تحت ويلاته، فجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وزادكم خيراً إلى خيركم ورشداً إلى رشدكم وعزاً إلى عزكم.. آمين آمين.

وبعد: فأذكركم لا أعلمكم، أذكركم بأن جهادكم قام لدحر الشيوعية وقد دُحرت والحمد لله، ولإقامة حكم إسلامي حقيقي على أرض أفغانستان يُنطلق به من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومُدت إليكم الأيدي بالأموال الطائلة جهاداً بالمال معكم، ودخل صفوفكم من تعلمونهم ومن لا تعلمونهم من عرب وغير عرب من شتى أنحاء العالم باعتباره جهاد المسلمين عامة، ولقى ربه منهم من لقيه في ميادينكم الجهادية، وأطلقت الألسن بالخطب والمواعظ والأشعار لدعمكم بالمال والرجال، وأعلنت الفتاوى الشرعية من علماء من ذوي الصدارة في العالم الإسلامي والأهلية في الفتوى في سنوات الجهاد الأولى بأن الجهاد معكم فرض عين، ومن أولئكم شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظهما الله

وغيـرهم، وأبليتم أنـتم وأتباعكم في هذا الجـهاد من البـلاء الحسن ما بـدت ثماره تقطف ـ والحمد لله ـ أتم الله لكم جهادكم وأقر أعيـنكم بتحقق ما أملتموه من قيام دولة إسلامية حقيقية لا إسمية كما هي الحال لدى بعض المتمسلمين، وكما يراد بكم الآن، ولكن الشيء المفزع للمسلمين عموماً ولمن شاركككم في جهادكم بنفس أو مال أو قول خصوصاً ما يُرى من سعي عظيم لـقطف ثمرة هذا الجهاد العظيم والانتصار الهائل من غير أهـله الحقيقين من إبراز وتلميع رموزٍ لإدارة حكـمه الجديد المنتظر لا يرجي منهـا أن تحقق الهـدف الذي قام الجهـاد ودُعم من أجله، وحسـبهم منقـصة وصف الغرب وعمـلاؤه لهم بالمعتدلين وإتاحتهم الفـرصة لضرب الميلشيا الشـيوعية للمجاهدين، ومنـهم من قلتم عنه أنتم الأربعة : سياف، رباني، حكـمتيار، يونس خالص، وحـضور مولوي مـحمد نبـي لما حضرتُ لديـكم ببشاور قـبل ٩ سنوات بتكليف من سمـاحة الوالد الشيخ عبدالعـزيز بن باز وصحبة الشيخ صـالح السعود العلي والشيخ صالح المزروع لتقريب وجهـات المجاهدين واتحادهم، أنه طرقي مبتدع بدعتـه لا تجيز اتحـاد المجاهدين مـعه، واليوم وأمس يـنصب لرئاسة الحكومـة التي جاهدتم أنتم ومـن تعاون معكم لإقامـتها، سبـحان الله إنها لخسـارة إن لم تُتدارك ونكسة وقاكم الله شرها.

فيا إخوتـي في الله وأحبتي فيه أناشـدكم الله وأعيذكم بالله أن تضيـعوا جهود المسلمين أو أن تعملوا ما قد يوصف بخيانة القـضية الجهادية التي هي قضية المسلمين عموماً، ابذلوا الجهد فيما يحقق ما قصد تموه وأعلنتموه وقاتلتم من أجله، حتى ولو أدى الأمر إلى استمـرار الجهاد ضد أهل البدع المكفرة أو الأفكار المـنحرفة لغرب أو لبقايا شرق، مـستعينين في ذلك بالله سبحانه وتـعالى الذي أوصلكم إلى هذا الأمر بعد أن كنتم مستـضعفين باذلين في جمع كلمتكم وتوحيد صـفوفكم ما تملكون من نفس أو نفيس لتحقيق هدفكم الحق المنشـود إقامة حكم إسلامي لايد فيه لشرق ولا لغرب ولا لرافضي ولا لـطرقي ولا لمن يأتمر بأمرهم، منطلقين من كـتاب الله وسنة

رسوله وسير الملتـزمين لهما من أئمة الهدى، نرجو اللـه الذي أفرحنا نحن المسلمين بانتصاركم على ألد خصم وأعنت خصم لـلمسلمين في الدنيا يوم أن بدأتم جهادكم معـه قبل ١٤ سنة بعشـرين رجلاً، أن يفرحنـا بقيام الدولة التي جـاهدتم من أجل قيامها، وفقكم الله وجمع كلمتكم على الحق أنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

عبدالله بن حسن بن محمد آل قعود

إلى من يهمه أمر المسلمين

مقالٌ نشر في صحيفة الجزيرة

عدد ٨

في ١٠/٤/١٣٨٤هـ

إلى من يهمه أمر المسلمين

إن مما أراه واجباً ولـزاماً عليَّ وكل ذي مقدرة ستـتاح له فرصة النشـر أو سماع القول إذا دار بخلده فكرة ما يرى أن لها ـ لو طبقت وأُجيد تطبيقها ـ أثراً فعالاً على حياة الأمة الفكرية ومعتقدها وتماسكها الخلقي وتعاملها المادي، نعم يطل على الناس بها في إطار متوج بالأدب وحسن العرض حسب المستطاع.

وإن مما دار ويدور بخلدي كثيراً واقع المسلمين المؤلم ومـستقبلهم المخوف، ولقد استعدت استعراضه إبان البدء في كتابة هذه الأسطر بما أوتيت من فكر ضئيل ونطاق محدود؛ فترك في نفسي أشد الأسى وأحـر الحسرات، وها أنذا أطل بما استعرضت للعلاج والبناء.

لقد بُلي المسلمون اليوم بالوهن والصدود بل وعدم الاكتراث والاهتمام بما يحفر لهم من هُـوى وما يحـاك حولهـم من مؤامـرات للإطاحـة بهم، ولم يقف الأمـر بالمسلمين عند ركود أو استغراق في نوم عميق، بل أخذ كثير من أبناء الإسلام وبناته يمرقون من الدين كمـا يمرق السهم من الرمية ـ عياذًا لأمـة الإسلام من ذلك ـ وإنها لمأسـاة عظمى أن يُـرى المسلمـون الذين يـراد منهم أن يدخـلوا الناس في ديـن الله يخرجـون منه هم أنفسهم أفـواجا، فلا بدع أو استـغراب أن يحاربه غيـرهم؛ فمن مبادئه السامية ومثله الكريمة تحارب أغراضهم وشهواتهم.

ومن أنعم النظر في ذلك المروق وذلك التحول يجد أن النفوس ولا سيما الجائرة أو الناشئة.. كثيراً ما تستجيب لأي داع دعاها سواء إلى فضيلة أو رذيلة، وفي هذه الأزمنة وبعـد توفـر وسائل الأعـلام والنشر قـوي دعاة الـشر في بلـدان الإسلام؛ فأرسلوها غـزواً ثقافيـة هائلة متنوعة الأسـاليب على حين غفلة مـن المسؤولين عن الإسلام وانشغالهم بحب المال والشرف، وصدق رسول الله ﷺ في قوله:

«ماذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[1] وعلى حين فقدانهم للمقاومة الصادقة من المسلمين وإن كان ثمَّ شيء من ذلك ففي نطاق محدود أو أسلوب مشوه.

وإذا كان سبب ذلكم التحول هو قوة داعي الشر وضعف داعي الخير أو تضاعفه فلنستعد قوتنا ومجدنا ولنرسلها من جديد مدوية، ولدينا بحمد الله في هذه البلاد دون غيرها نحن المسلمين بقايا طاقات ثقافية صالحة، فلنبعثها من جديد قبل أن يتوالى عليها التخزين فتصبح غير صالحة للمقاومة، أو تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

وإن أهم الوسائل في مكافحة ما بلينا به من غزو ثقافي وأفكار هدامة أن نقاومها بمثل أساليبها وأفضل، فنرسلها أولاً غزواً ثقافية في الدعوة إلى الله وإلى دينه الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، تتمثل فيها أساليب الدعوة الأولى: ﴿**قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ [سبأ: ٢٤].

﴿**قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين**﴾ [القصص: ٤٩].

ثم بعد ذلك إذا لم تُجدِ هذه الأساليب يأتي استعمال القوة لمن يملكها، وإن أنجح وسيلة في نشر الدعوة إلى الإسلام ومكافحة هذه التيارات وقبل كل شيء ثم تعاون الولاة والعلماء تعاوناً تلتقي عليه القلوب قبل الألسن والفعال في اختيار طبقة مستنيرة من رجال الفكر الإسلامي وممن جُربوا وعُرفوا بالغيرة لعقيدة السلف والعناية بمثل الإسلام والدعوة إليه والسعي في إعلانه، وأن يتم اختيارهم على قاعدة الأمثل فالأمثل، ويطلق عليهم لقب [هيئة العلماء العليا] وتخول هذه الهيئة أمثال الأعمال

---

(١) رواه الترمذي في الزهد رقم (٢٤٨٢) تحفة الأحوذي، وصححه، وأحمد في مسند كعب بن مالك (٣/٤٥٦، ٤٦٠).

الآتية : ـ

أولاً : الإشراف التام على التعليم ثقافياً تخطيطاً وتنفيذاً، ومعلوم أن نقطة الانطلاق للصلاح أو الفساد (غالبا) تبدأ باختيار المربي والمربية الصالحين أو عكسهما، ويظهر ذلك في اختيار لجان التعاقد والمسؤولين عن التعليم فنياً.

ثانياً : الاهتمام بمنابر الخطابة باستبعاد الضعفاء عنها ودعمها بخطباء مصاقع ذوي ثقافة عالية وأعمال تصدق الأقوال وخبرة وإلمام بما يدور في مجتمعاتهم من أحداث ليطلوا بها على الناس كل أسبوع آمرين لهم بحسنها وناهينهم عن سيئها.

ثالثاً : يوكل لتلك الهيئة إيجاد مجموعة صالحة على مستوى عالٍ في إجادة القول وحسن الجدل وقوة البصيرة تقوم بنشر محاسن الإسلام وبيان حِكم تكاليفه وعقبى أهله دنيا وأخرى في مجامع الناس وندواتهم الخاصة والعامة، وتزود برسائل وكتب إسلامية توزعها مجاناً، ويكون من بين هؤلاء قضاة المحاكم النائية، وأكثر القضاة فيما أعلم صالح لهذا العمل وقادر عليه، كما يجب أن يكون من بين هذه المجموعة عدد من ذوي الأقلام السيالة، والقوة على البحث والمعرفة بدين الإسلام جملة وتفصيلا تتولى الإشراف على أبواب إسلامية دائمة في الصحف اليومية والأسبوعية، وتكون الصحف ملزمة بنشر ما يقدمه هؤلاء، ويكون هؤلاء مسؤولين أمام هيئة العلماء العليا، ويهيأ لجميع من ذكر ما يعينهم على أداء رسالتهم على الوجه الأتم.

هذا ما أردت أن أطل على القراء الكرام والمسؤولين الأفاضل به وأعتقد أن ذلك كله ممكن وسهل على من سهله الله عليه، وأقل ما يجب تقديمه (مبدئياً) لخدمة ديننا الحنيف والحفاظ على عقيدتنا ومثلنا الكريمة، ولي ولملايين المسلمين في زعماء المسلمين كبير الأمل وعظيم الرجاء وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إلى من يهمه أمر المسلمين

مقالٌ نُشر في صحيفة الجزيرة

عدد ٩

في ١٧/٤/١٣٨٤هـ

إلى من يهمه أمر المسلمين

أشرت في كلمتي السابقة المنشورة في هذه الصحيفة بتاريخ ١٠/ ٤/ ٨٤هـ إلى نوع من أنواع القوى المجندة لغزو الإسلام ولاستلاله من نفوس أهله أو استلالهم منه، وإلى ما وصل إليه أثر ذلك الغزو في صد كثير من أبناء الإسلام وتحويلهم عما هم عليه من عقيدة مثلى وخلق كريم، وأشرت إلى أقل ما يجب تقديمه مبدئياً من المسلمين جماعات وفرادى، ولا سيما علماء الأمة وولاتها إزاء تلكم الموجات العارمة، والتيارات العظمى التي لا يجهلها أو يتجاهلها إلا غبي أو جاهل بدينه وواقعه، ويدرك القاريء الكريم معي وقبلي أن أخطر شيء على الأمة غزو أفكارها ومحاولة اقتلاع مبادئها وغيرتها وحماس أبنائها، وأن أثر الغزو الفكري وخطره على أي أمة أعظم وأنكى من الغزو العسكري لا ينتطح في ذلك عنزان، وإعزازاً لما ذكّرت به المسؤولين عن شؤون الإسلام ـ في كلمتي المشار إليها ـ أشير إلى أن هناك عاملاً هاماً هو بمثابة معبر لتسلل الشيوعية ومنفذ لبذرة شرها في نفوس كثير من ضعفاء الإيمان وقليلي البصائر، قد يتيح فرصة لدعاة الشيوعية إلى احتواش كثير من أهل الإسلام وتشكيك آخرين منهم . . أتدري ـ أيها القاريء الكريم ـ ما هو ذلك العامل؟ إنه المال، والمال كما هو معروف شريان الحياة، ولا حياة بدون مال، فمن أعظم الوسائل الفعلية في الدعوة للإسلام وفي محاربة الشيوعية وقطع خطوط الرجعة عليها وسد المنافذ أمامها هي تطبيق عدالة الإسلام في توزيع الأموال؛ فالعدل في المال حرب شعواء على الشيوعية، وانتصار عليها، والجور في توزيع المال أو البخل بما يجب فيه من قبل فرد أو والٍ إلجاءٌ للسواد الأعظم من الناس وهم من لا بصيرة لهم من الفقراء وذوي الدخل المحدود إلى الانصياع وراء دعاة الشيوعية المضللين.

وناهيك - أيها القارىء الكريم - بما جاء في الإسلام وما فرضه على الولاة والأغنياء للفقراء ونحوهم من الحقوق المالية كفريضة الزكاة وتعداد بيان أهلها بما فيهم المؤلفة قلوبهم، وإيجاب نفقة الأقارب على قريبهم الغني، وكندبه إلى القرض والتهادي، وما جاء في الإسلام من وعيد شديد لمن بات شبعان وجاره جائع، ولمن كان على فضل ماء فيمنعه من ابن السبيل، وكنهيه عن الاحتكار، وما إلى ذلكم مما جاء به الإسلام من الإعانات المالية، كوضع الجوائح وتحمل عاقلة الجاني ما تحمله من ديات خطأ، وغير ذلك من التشريعات المالية المليئة بالتعاون والتكافل الاجتماعي والتي لو أديت على الوجه الذي جاء به الإسلام لكانت أعظم وسيلة في الدعوة للإسلام، وأعظم عامل في إبراز محاسنه ومساواته، وأعظم حاجز يحول بين أهله وبين التأثر والانخداع بسراب المذاهب الهدامة الوهمي ودعاتها المضللين ومبادئها الفتاكة بالأخلاق والمثل الكريمة والتي تلتقي في التفسخ من الدين، وفي إنكار الخالق سبحانه . . . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

ولقد سقت ما سقت كنموذج ودليل إلى أن الإسلام - دين كل زمان ومكان - لم يترك للشيوعية ولا غيرها منفذاً ولم يغفل جانب فقير ونحوه من ذوي العوز المالي لا فيما بينه وبين أحد أفراد المسلمين ولا فيما بينه وبين والي أمر المسلمين، يقول ﷺ فيما رواه البخاري : « من مات وعليه دين ولم يترك وفاءً فعليّ قضاؤه»[1] .

ويقول في حديث آخر يشهد له هذا « أنا عائل من لا عائل له»[2]، أو كما روي عنه، ولكن الجور عن تعاليم الإسلام، وعدم الحرص على تطبيق سياسة الإسلام المالية من لدن فردٍ أو والٍ أو هما معاً سيتيح للشيوعية أكبر فرصة بدون أن تقدم

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة ، كتاب الكفالة، الفتح (٤/ ٤٧٧ ح ٢٢٩٨)، ورواه مسلم في الفرائض، النووي (١١/ ٦).

(٢) لم أجده.

لذلك ثمناً أو أن تبذل فيه جهداً كبيراً؛ فإلى متى المحاربة الصادقة؟ إذا استشرى الفساد، وبلغ السيل الزبى؟ لا قدرة بعد ذلك إذا جاء اليقين، لا رجعة بعد الموت إلى الدنيا، لا نبي بعد محمد ﷺ ، وهذه تعاليم محمد ﷺ المثلى ، وشرعه الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قائم بين ظهرانينا ؛ فإلى مستقبل أفضل وقول صادق وعمل مخلص وتصرف تتجلى فيه المتابعة ، ومسعى أمامي لصالح الإسلام وأهله هدانا الله سواء السبيل، وجعلنا جميعاً ممن يهدون بالحق وبه يعدلون.

★★★★★

نصيحة أخوية

كتبت في : ٢/٥/١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم ومحبي الفاضل الشيخ ..... حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فانطلاقاً من نصحي لك ومحبتي لك التي لم تهتز ـ والله وبالله ـ حتى مع بواعث هذه الكتابة، وأرجو أن تظل تزداد قوة إلى أن نلقى الله محققاً فينا قول رسوله عليه الصلاة والسلام: «... تحابا في الله .. الخ»[1] أذكرك بأمور :

أولاً : إنك ـ كما تعرف ـ لا تزال في مستقبل العمر الذي أرجو الله أن يحفظه لك ويطيله في طاعة وعافية، وفي مستقبل التعلم ومستقبل التجارب والنضج، فرويداً ـ أخي ـ وطبخاً لما يصدر عنك تجاه من هم في ذمة الله خاصة الدعاة إلى الله[2] أحياءً أو أمواتاً عسى ألا تحتاج في موقف حياة أو ممات للاعتذار عنه.

ثانياً : وعظتك شفوياً قبل أشهر بألا تكتب أو تقول شيئاً له مساس بأحد الدعاة وأنت غضبان أو [زعلان] عليه، وذكّرتك بما تعرفه من قول رسول الله ﷺ: «لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان»[3]، ونغمة الصوت في الشريط الذي سأذكره تنبيء ـ مع الأسف ـ عن ذلك فضلاً عن المضمون فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) البخاري (٢/ ١١٩ ، ١٢٤)، ومسلم (ح ١٠٣١).

(٢) روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته». كتاب الصلاة (فتح ١/ ٤٩٦ ح ٣٩١).

(٣) متفق عليه، البخاري كتاب الأحكام (ح ٧١٥٨)، ومسلم في الأقضية (ح١٧١٧).

ثالثا : نقل لي غير واحد قولك في اجتماع أخيار نحسبهم كذلك قولك في كتاب: «معالم في الطريق»: هذا كتاب ملعون.

سبحان الله !! كتاب أخذ صاحبه ثمنه قتلاً نحسبه في سبيل الله بدافع من الروس الشيوعيين لجمال كما يعرف ذلك المعاصرون للقضية، وقامت بتوزيع هذا الكتاب جهات عديدة في المملكة، وخلال سنوات عديدة، وأهل هذه الجهات أهل علم ودعوة إلى الله، وكثير منهم مشايخ لمشايخك، وما سمعنا حوله منهم ما يستوجب ما قلت، لكنك ـ والله أعلم ـ لم تمعن النظر فيه قبل أن تغضب، وخاصة الموضوعات: جيل قرآني فريد، الجهاد، لا إله إلا الله منهج حياة، جنسية المسلم عقيدته، استعلاء الإيمان، هذا هو الطريق.. وغيرها مما تلتقي معانيه في الجملة مع ما ندين الله به، فكيف بك إذا وقفت بين يدي الله وحاجك هذا الشخص الذي وصفته الإذاعة السعودية خلال سنوات متوالية بشهيد الإسلام، أو قال لك أحد تلامذتك أو زملائك هذه الجملة (ملعون) إما إخبارية أو دُعائية، فكيف تجيب من حملها على الإخبارية عن علم الغيب ؟!

رابعاً : استمعت للشريط: حتى لا ... وفي فهمي المحدود أن أغلب من ذكرت فيه ووصف العاملين به أو القائلين به أو المفتين به بالفسق والابتداع وخيانة الأمة أمور اجتهادية دائرة بين راجح في نظر من وصفتهم بذلك وبين مرجوح في نظرك أو ـ تنزيلاً ـ خطأ، وأنت تعرف قول السلف في الخطأ .. قال الله: قد فعلت[1].

ثم الكثير ممن أومأت إليهم في كلامك عن المراكز الصيفية والرحلات الدعوية أو العلمية من عدود[2] الأناشيد وأسلوب الدعوة و.. و.. على جانب من الخير

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق (١/ ١١٥ ح ١٢٥، ١٢٦).

(٢) كلمة لم تتبين لي .

والفضل والقيام بالدعوة إلى الله ـ وكنت حفظ الله لك عملك ذلك ـ من بينهم، وفي مقدمة المذكورين سماحة والدنا الشيخ عبدالعزيز بن باز الذي يفتي بأن أسلوب الدعوة ليس توقيفياً.

وقلت في ردّك على من يقول بذلك: وهناك . . تقطع لسان القائل أن أسلوب الدعوة ليس توقيفياً، ولم تورد ما يتلائم مع قولك من نص قرآني أو نبوي وغير ذلك مما أحسبه يختلف مع منهج السلف في الدعوة إلى الله الذي نرجو الله أن يبصرنا به ويحيينا جميعاً ويميتنا عليه إنه سميع مجيب.

ومعذرة فأظني لو رأيتك قبل تسجيل هذا الكلام لسبقتني عبرة الإشفاق عليك التي كادت في أثناء صلاةٍ أن تأخذ بي لمّا عَرَضْتَ لي فيها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوك

عبدالله بن حسن القعود

★★★★★

بين المعهد وطلابه

مقال نُشر في معهد إمام الدعوة

سنة : ١٣٧٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إليكم معشر الطلاب أسوق هذا الحديث إليكم؛ فكل طلاب أمةٍ هم عروقها النابضة وقلبها الخفاق، هم غداً مفكروها وقادة زمامها، ودعامة مستقبلها المرموق، وعضدها المكين، إليكم أسوق النصح وأوجه الحديث، وقبل التحدث معكم هنيهة أحييكم بروح مشاركتكم في المبدأ السلفي والاتجاه الديني، أحيي فيكم حب الاستطلاع والتماسك الخلقي، أحيي الروح العلميّة التي تنشد دوماً العُلى والمفاخر الإسلامية تنشدها وتطلبها مِن قال الله، قال رسوله، قال الصحابة هم أولوا العرفان.

ولقد دعاني إعجابي بكم واحتلالكم المكانة العالية من سويداء قلبي وامتزاج حبكم بلحمي ودمي بحكم الإخوة الإسلامية والطابع الإيماني أولاً، ثم بما لمسته فيكم من روح عالية شهد لها حرصكم على علوم الدين ومباديء الإسلام وإجلالكم لأهله، شهد لها كلماتكم على صفحات جريدتكم الغرّاء، أو على الأصح منبركم الأبلق التي اسمها يحمل معناها سافراً.

وقلّ أن أبصرت عيناك ذا لقبٍ ... إلا ومعناه إن فكّرتَ في لقبه

وحديثي معكم نحو معهدكم وما يتطلع إليه منكم، فهو لا يقوم إلا على كواهلكم؛ فإن استقمتم استقام، وإن اعوججتم فقل عليه العَفَاء والسلام، لا أطالبكم بإقامة جهازه الشكلي فذاكم له أهلٌ وأنْعِمْ بهم، ساهرون على إحلاله المكانة العالية وسيساير المعاهد الأخرى جنباً إلى جنب أو يعلو فوق هاماتها بإذن الله ثم بتوجيه رئيس المعاهد الدينية وجهوده الموفقة، ولكن أطالبكم بأن تكونوا دعاة له بما تتحلون به من أخلاق فاضلة نبيلة وسجايا حسنة حميدة بين صفوف طلاب المعاهد والمدارس الأخرى، دعاة بمنطقكم العذب وقولكم الجميل، دعاة بنفوسكم المرحة وصدوركم المنشرحة بالتهلل والبشاشة يبعدكم عن الجحود والجمود.

دعوا خشن الكلام وسيئه، ودعوا الانقباض والانزواء، دعوا التجهم والتعبس، فنحن في زمن مظلم بالشبهات والشهوات وهما أكبر خطر على الدين والأخلاق إن لم يكونا كل الخطر، نحن في زمن انبعثت فيه سموم الشر من كل حدب وصوب، يحتاج إلى رجال اجتماعيين فهموا الدين حق فهمه والحياة الحاضرة، يخالطون الناس للتوجيه والتبصير ويصبرون على أذاهم، روحيين يعالجون جحود الشباب وجمود الكهول، كونوا أولائكم أو فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم، حاولوا بكل جهودكم أن تعطوا الناس عن معهدكم صورة حية حسنة بحسن معاملتكم مع الله أولاً، ثم معهم ثانياً، حاولوا أن تبنوا له مركزاً عالياً في المجتمع السعودي والعربي بنشر الدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة، رائدكم الإخلاص، وهدفكم نشر الفضائل في ربوع المعمورة ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة، حاولوا فقد يكون واحد منكم سبباً في بناء صرحه الوطيد ومجده المشيد، أو عاملاً لتدهوره وانحطاطه، ولا غرو، فكم فضيلة وكم أمة سعدت بواحد وحلّقت في سماء المجد بأعماله الطيبة وإرشاداته السديدة، وأخرى شقيت بآخر وانحطت بسببه إلى الحظيظ أعاذنا الله ومعهدنا وأمتنا من ذلك:

وكم شعوب مجدها غرسُ واحدٍ ... وأخرى من الآلاف تشكي الدواهيا

وكم أب قد علا بابنٍ ذرى شرفٍ ... كما علا برسول الله عدنانُ

وختاماً أوجه ندائي الحار المكرر إلى آبائي وأبنائي وإخواني الطلبة أن يرعوا حق الصالح العام وأن يكونوا يداً واحدةً وقلباً واحداً ولساناً واحداً في كل ما من شأنه صيانة هذا المعهد وحفظ كيانه وسمعته، وليتقوا الله فيه فهو أبوهم الحنون ومنهلهم العذب.

والسلام عليكم ورحمة الله بركاته

تقريرات علمية

من دروس الشيخ - حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فهذه بعض الأجوبة والتقريرات العلمية لفضيلة الشيخ/ عبدالله بن حسن بن قعود سمعتها منه في مجالس متعددة، وحرصت على تقييدها لما فيها من العلم النافع والتأصيل الصحيح الذي كم نحن بحاجة إليه، سائلاً الله العلي أن يمتع شيخنا وأن يرزقه الصحة والعافية وأن ينفع بعلمه ودعوته وأن يجزيه عني خير ما جزى شيخاً عن تلميذه ووالداً عن ولده ...[1].

(١) جمعها تلميذ الشيخ الأخ/ ماجد بن محمد المرسال. .

★ سئل شيخنا عن كيفية الجمع بين قوله ﷺ «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»[1] وما يشاهد مما يفعله بعض الناس عند قبر النبي ﷺ من أنواع العبادة ؟

فأجاب حفظه الله :

إنّ هذا الحديث إن صحّ إسناده فلا يعني إجابة الله هذا الدعاء من نبيّه ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ [آل عمران:١٢٨]، وكما في قوله ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً، وذكر أنه لم يستجب له واحدة»[2]، ولا يعني عدم إجابته ﷺ عدم رضى الله عنه أو نصرته له، بل قد يكون ذلك لحكمة يعلمها الله.

وفي دعاء النبي ﷺ هذا عدم إقراره ﷺ لما أحدثه المحدثون من غلوّ في قبره ﷺ، وما ذهب إليه بعض أهل العلم من أنّ الله قد استجاب هذا الدعاء ممّا يتمسك به بعض الصوفية، فهذا يردّه الواقع المرير الذي يشاهده كلّ مسلم فضلاً عن طالب العلم ممّا يفعله الجهال عند قبره من استقباله ودعائه وسؤاله والتمسح به وغير ذلك من أنواع العبادة.

★ وسئل حفظه الله عن حكم التقليد :

فأجاب حفظه الله :

بأن التقليد حرام كأن يقلّد عالم من العلماء في كل شيء؛ الحلال ما أحلّه والحرام ما حرّمه، وهذا يدخل في قوله تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من**

---

(١) رواه مالك في الموطأ كتاب قصر صلاة المسافرين (١/ ١٧٢ ح ٨٥) عن عطاء بن يسار مرسلاً.
قال ابن عبدالبر رحمه الله. . . .ومالك بن أنس عند جميعهم حجة فيما نقل وقد أسند حديثه هذا عمر بن محمد وهو من ثقات أشراف أهل المدينة، روى عنه مالك بن أنس والثوري وسليمان بن بلال وغيرهم، وهو عمر بن محمد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهذا الحديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له، وهو ممن تقبل زيادته، وبالله التوفيق. التمهيد (٥/ ٤٢)

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٦ ح ٢٨٩٠).

دون الله ﴾ [التوبة: ٣١]، والواجب على المسلم أن يتبع رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال أيضاً: ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا**﴾ [النساء: ٨٠]، فلا يجوز تقليد عالم ما مهما علت منزلته إلا بدليل صحيح؛ فيجوز اتباعه والأخذ باجتهاده اتباعاً للدليل ولا يسمى تقليد وإن سمّاه البعض بذلك لأنه أخذ مما أخذ العالم وهو الدليل الشرعي الصحيح.

★ **وسئل عن قوله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾** [الأعراف: ١٩٠]، **وهل يصح في ذلك ما نسب لآدم وحواء ؟.**

فأجاب حفظه الله :

إن ما ذكر في تفسير هذه الآية مما ينسب لآدم وحواء في ارتكابهما الشرك غير صحيح لوجوه : ـ

الأول : عدم صحة الأثر في ذلك.

الثاني : أن آدم نبي معصوم من الشرك.

الثالث : أن الله ذكر معصيتهما وقصة إخراجهما من الجنة، ولو صحت هذه القصة لكان ذكرها أولى لأن المعصية دون الشرك[1]، والتأنيب على الشرك أولى.

الرابع : أن الله عاقب آدم وحواء على معصيتهما بإخراجهما من الجنة فكيف لا يعاقبهما على الشرك!

الخامس : أن الله ذكر توبتهما بعد المعصية ولم يذكر توبتهما بعد الشرك، وكيف لا يتوبان من الشرك، وهو أعظم، مما يدل ذلك على بطلان هذه القصة وأن المراد بالآية جنس الذكر والأنثى من بني آدم، والآثار في هذه القصة كما قال ابن

---

(١) أي معصية أكلهما من الشجرة.

كثير رحمه الله: متلقاة عن بني إسرائيل.

★ وسئل حفظه الله عن العمل بالحديث الضعيف.

فأجاب حفظه الله :

إن في الأحاديث الصحيحة غُنية وكفاية عن الضعيف، وأنه لا ينبغي الاشتغال بمحاولة تقوية الحديث الضعيف إذا ظهر ضعفه بأحاديث أخرى هي ظاهرة الضعف أيضا؛ فيتوهم أن هذه الأحاديث تترقى بهذه الطرق الضعيفة، وذلك ليس على إطلاقه، وهذا التوهم هو الذي أوقع بعض الناس في العمل بالأحاديث الضعيفة.

★ وسئل عن دعاء ختم القرآن الكريم في صلاة التراويح أو القيام الذي اعتاده الناس في رمضان ؟.

فأجاب حفظه الله :

إن الأصل في العبادات التوقيف حتى يوجد دليل من الكتاب والسنة على شرعية هذه العبادة، ولا أعلم دليلاً على ذلك، لا من قول النبي ﷺ، ولا من فعله، وقد ورد أن النبي ﷺ راجع مع جبريل القرآن[1]، ولم يؤثر عنه أنه دعا كما يدعو الناس الآن، وكذلك لم يرد عن صحابته، وما جاء عن أنس رضي الله عنه فغاية دلالته إن صح إسناده إليه فعل ذلك خارج الصلاة[2]، وخير الهدي هدي النبي ﷺ القائل: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (الفتح ٦/ ٦٣٨ ح ٣٦٢٤).

(٢) رواه الدارمي في مسنده عن ثابت البناني قال: كان أنس بن مالك إذا أشفى على ختم القرآن بالليل بقّى منه شيئاً حتى يصبح فيجمع أهله فيختمه معهم، كتاب فضائل القرآن، باب في ختم القرآن (٢/ ٣٣٦ ح ٣٤٧٦ ، ٣٤٧٧).

(٣) رواه البخاري كتاب الأذان (الفتح ٢/ ١١١ ح ٦٣١).

★ وسئل هل يجوز ترك بعض واجبات الحج على أن يخرج عنها دماً؟

فأجاب حفظه الله :

إن الأصل في الحج هو فعل النبي ﷺ القائل: «خذوا عني مناسككم»[1]، ولا يجوز لمسلم أن يبدلّ تشريع رسول الله ﷺ بحسب هواه، ومن ذلك ما يسميّه أهل العلم والفقه بواجبات الحج، فلا يجوز تركها من غير عذر، فإن تركها لعذر اختلف أهل العلم في وجوب إخراج الدم؛ فذهب كثير من العلماء إلى وجوبه، وذهب آخرون إلى عدم الوجوب، ولا أعلم في ذلك شيئًا عن النبي ﷺ.

★ وسئل حفظه الله عن كيفية طلب العلم للمبتديء؟

فأجاب حفظه الله :

إن من المهم في طلب العلم الاعتناء بالأصول الشرعية والعلوم الأساسية الرئيسة، ابتداءً بالقرآن الكريم، ومن ثم السنة النبوية الصحيحة، ومنها تؤخذ العقيدة والفتوى، وأما العلوم الأخرى فهي علوم مساعدة لطالب العلم يستفيد منها ولكن لا يعتمد عليها، ولا يستدل بها لأن الاستدلال إنما يكون بالنص كما قال الله تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ [النساء: ٥٩].

★ وسئل عن حكم الدخول في المسابقات التي تنشؤها بعض المؤسسات والأسواق التجارية؟

فأجاب حفظه الله :

إن الأحوط تركها، لأن أغلب هذه المسابقات تقوم على القمار والميسر الذي حرمه الله بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس**

(١) رواه مسلم عن جابر، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ...(٢/ ٩٤٣ح ١٢٩٧).

من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ [المائدة: ٩٠]؛ فإذا علم تفصيل مسابقة بعينها وكانت على وفق أحكام الشريعة فيجوز دخول المتسابق فيها.

★ وسئل عن حكم رفع اليدين في خطبة الجمعة عند الدعاء ؟

فأجاب حفظه الله :

إنه لم يرد عن النبي ﷺ ما يدلّ على رفع اليدين في دعاء خطبة الجمعة إلا في صلاة الاستسقاء، وقد أنكر بعض الصحابة على من رفع يديه في خطبة الجمعة[(١)]، بل يكتفي بالإشارة بالأصبع كما كان يفعل رسول الله ﷺ، وأما في الاستسقاء فالسنة رفع اليدين بل والمبالغة في رفعها كما جاء ذلك عن النبي ﷺ[(٢)].

★ وسئل عن كثرة من يمتهنون الرقية ويتوافد الناس إليهم لإخراج الجن والعين والأمراض النفسية ؟

فأجاب حفظه الله :

بأنه يجوز للإنسان أن يرقى نفسه وغيره، وأن يرقيه غيره، وكل ذلك جاء عن النبي ﷺ، وكما يجوز له أن يأخذ جعلاً على رقيته كما جاء ذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة السليم وإقرار النبي ﷺ[(٣)]، و لكن بعض الناس توسعوا في ذلك حتى خرجوا عن الحدّ الشرعي إلى أنواع من المحدثات والمجربات على حدّ قولهم والتي يوهمون بها الناس ويشككوهم في أنفسهم ويستنزفون بها أموالهم، حتى رأيت بنفسي من يلقن المريض فيتلقن فيتوهم أن هذا من كلام الجان وهو الذي لقّنه، إلى غير ذلك ممّا استحدثوا من الرقية بمكبرات الصوت والقراءة في

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٥ ح ٨٧٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب رفع الإمام يده في الاستسقاء (الفتح ٢/ ٥١٧ ح ١٠٣١).
ورواه مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء (٢/ ٦١٢ ح ٨٩٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب الطب، باب النفث في الرقية (الفتح ١٠/ ٢٠٩ ح ٥٧٤٩).
ورواه مسلم، كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار (٤/ ١٧٢٧ ح ٢٢٠١).

خزانات المياه وغير ذلك مما لا أصل له في الشرع.

★ وسئل عن شروط الرقية الشرعية ؟

فأجاب حفظه الله:

إنه يشترط في الرقية الشرعية أن تكون بالآيات والأحاديث الصحيحة والأدعية المطهرة من الشرك، وأن تكون باللغة العربية أو بلغة مفهومة، وأن يعتقد أنها أسباب لا تؤثر بنفسها، وأذكر أن الشيخ راشد بن خنين جمعها في قوله:

إن الشروط للرقى الشرعية ثلاثة خذ عدّها جلية

فهمٌ لها وكونها مطهرة عما يكون شرعنا قد حظره

كذا اعتقاد أنها أسباب تأثيرها يملكه الوهاب

★ وسئل عن بعض ما يدعيه بعضهم من أن الكفر المخرج من الملة لا يكون إلا بالاستحلال، وأن الأعمال الكفرية مهما كانت لا تنقض الإيمان إلا بالاستحلال لها.

فأجاب حفظه الله :

إن هذا القول هو قول المرجئة الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان، وإلا فالإيمان عند أهل السنة قول وعمل واعتقاد، إذا ارتكب ناقضاً من نواقض الإيمان العملية يخرج به من الملة إذا توفرت الشروط، وانتفت الموانع، وقد ذكر الفقهاء رحمهم الله أوصافاً كثيرة ينتقض الإيمان بها، وقد تتبعت الأوصاف التي ذكرها صاحب «كشاف القناع» أنها تنقض الإيمان فقاربت ثمانية وتسعين وصفاً.

★ وسئل عما يصل إلى الميت من ثواب عبادة يهدى إليه، وصحة قولهم ما أهدي إلى الميت أو الحي من ثواب صح.

فأجاب حفظه الله :

إن الإنسان إذا مات انقطع عمله إلا ما استثني بدليل كما في قوله ﷺ: «إذا

مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1]،والأشياء المستثناة قد استقرأتها وهي الحج والعمرة والدعاء وصوم الفرض والصدقة، أما ما عدا ذلك فيحتاج إلى دليل يجيزه، ولا أعلم له دليلاً.

★ وسئل عن كيفية خطبة الاستسقاء.

فأجاب حفظه الله:

إن خطبة الاستسقاء تختلف عن خطبة الجمعة، ففي الحقيقة خطبة الاستسقاء ليست بخطبة بل هي تضرع واستغفار ودعاء، كما جاء ذلك عن النبي ﷺ، ولا يصح ما يفعله بعض الناس من جعلها كخطبة الجمعة، كما أنه لا يصح إقامة الاستسقاء إلا من حاجة صحيحة للمطر، وأما الاستسقاء من غير حاجة فلا أعلم له أصلاً، والأصل بطلانه[2].

★ وسئل عن الحكم على الناس وتقويم آرائهم واجتهاداتهم وخاصة إذا اختلف كلامهم من مكان إلى آخر.

فأجاب حفظه الله:

إن الواجب على المسلم العدل والإنصاف كما قال الله تعالى: ﴿**ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ [المائدة:٨]، ولا يجوز الحكم على بواطن الناس والكلام في نواياهم ومقاصدهم، وليس للناس إلا الظاهر، كما قال ﷺ: «لم أومر أن أشق عن قلوب الناس»[3]، كما أن من الواجب التثبت من النقل والتأكد من صحة نسبة الكلام إلى قائله كما قال الله تعالى: ﴿**فتبينوا أن**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (٣/ ١٢٥٥ ح ١٦٣١)

(٢) راجع رسالة «الاستسقاء» صـ ١٣٩.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (الفتح ٨/ ٦٧ ح ٤٣٥١)، ولفظه: «... لم أومر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم..».
ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤١ ح ١٠٦٤).

تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات:٦]، ثم إذا اختلف الكلام من موضع لآخر فيجب حمل المجمل على المبين والعام على الخاص، ونسخ المتقدم بالمتأخر،كما نص على ذلك ابن القيم رحمه الله، فهذا هو الأقرب إلى العدل الذي أمر الله به،و حثنا عليه، ولا يجوز الدخول في المقاصد، ولا التحريف في النقل، ولا الاتهام من غير دليل،ولا التنابز بالألقاب، فكل ذلك مما حذّر الله منه.

★ وسئل عمّن أصرّ على ناقض من نواقض الإسلام ومات وهو يقول لا إله إلا الله، هل تنفعه بالحكم عليه بالإسلام؟

فأجاب حفظه الله :

بأن النطق بكلمة الإخلاص ينقسم إلى قسمين:

الأول : أن يقولها ابتداءً وهو كافر قبل نطقها، فحينئذ يحكم له بالإسلام كما في حديث أسامة في الصحيحين قال ﷺ: «أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله»[1]؛ فإن ارتكب ناقضاً من نواقضها خرج من الإسلام بعد ذلك.

الثاني : أن يقولها ليس ابتداءً كأن يكون مصراً على ناقض من نواقضها، ولم يحقق شروطها ومقتضياتها ثم يقولها عند الموت من غير توبة عن نواقضها، وترك شروطها، فهذا لا تنفعه لأنه يقولها على معنى يريده هو لا يوافق المعنى الحقيقي لهذه الكلمة الطيّبة.

★ وسئل عن حكم الاعتناء بالآثار ؟

فأجاب حفظه الله :

بأنه بدعة منكرة إن كان المقصود منه العبادة كما يحصل من بعض الصوفية،

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة (الفتح ٧/ ٥١٧ ح ٤٢٦٩)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله (١/ ٩٦ ح ٩٦).

وكما يفعل أهل الموالد، وقد قال ﷺ: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[1]، وإن لم يقصد منه العبادة فهو من التشبه بالكفار الذين نهينا عن التشبه بهم كما قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[2].

★ وسئل عما يسميه بعض أهل العلم بالإجماع السكوتي، هل يصح أن يسمى سكوت بعض أهل العلم إجماعاً من غير أن يعلم رأيهم في المسألة؟

فأجاب حفظه الله :

إن ذلك غير صحيح، وخاصة لما توسع العالم الإسلامي، وانتشر العلماء في البلاد المختلفة، وكثرت الفتن والمشاكل؛ فقد يكون عند عالم مخالفة في حكم مسألة ما لا يستطيع أن يتكلم به ونحو ذلك، وذَكَر عدم صحة هذا الإجماع الصنعاني في سبل السلام.

★ وسئل عن صحة نسبة كتاب: «تحكيم القوانين» إلى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، حيث إن هناك من ينازع في ذلك.

فأجاب حفظه الله :

إن نسبة الكتاب إلى الشيخ صحيحة متواترة، وقد طبع طبعته الأولى في حياة الشيخ رحمه الله، وأسلوبه ومنهجه لم يتطرق إليه الشك في صحة نسبة الكتاب إليه وما يشكك في ذلك إلا جاهل لا يعرف دعوة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

★ وسئل عن الضابط في ألفاظ العقود ؟.

فأجاب حفظه الله :

إن ما كان منها بين العبد وربه فهو على الغايات والمقاصد، وما كان بين العبد

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٢ ح ٨٧٦).

(٢) رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة (٤/ ٣١٤ ح ٤٠٣١)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهو حديث جيد (مجموع الفتاوى ٢٥/ ٣٣١).

والناس فهو على الألفاظ كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

★ وسئل عن حكم اقتناء الدش وهل يجوز بيعه وشراؤه؟

فأجاب حفظه الله:

إنه لا يجوز بيعه ولا شراؤه، ولا اقتناؤه لما فيه من دعوة للإلحاد والفساد، وإفساد للعقيدة، وتدمير للأخلاق، ومن أدخله بيته فهو على خطر عظيم، قد قال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته - وفي رواية لم يحطها بنصح - إلا حرم الله عليه الجنة»[1].

★ وسئل عن أقل حدّ للحيض وأكثره وأقل زمن بين الحيضتين؟.

فأجاب حفظه الله:

إنه ليس هناك حدّ لأقله ولا أكثره ولا أقل مدة بين الحيضتين، بل ما رأته المرأة من دم تنطبق عليه صفات دم الحيض فهو حيض وإلا فلا.

★ وسئل عن قراءة سورة الزلزلة في الفجر. هل هي سنة دائمة؟

فأجاب حفظه الله:

بأن مثل هذه النصوص التي تخالف العمل الغالب المشهور كقراءة سورة الزلزلة في ركعتي الفجر مثلاً، أو ختم القراءة بسورة الإخلاص في كل ركعة ونحو ذلك، فالمشروع فيها ألا يداوم الإنسان على عملها، وإنما يعملها على الوجهة التي جاءت عليها هذه النصوص، وبحسب ما يقوم بقلب العبد من أسبابها، وأن لا يقلب سنة رسول الله ﷺ؛ فيجعل العمل الغالب المشهور هو النادر القليل، ويجعل العمل النادر القليل هو العمل الغالب المشهور، فيترك العمل بنصوص كثيرة مقابل نص واحد جاء على صفة خاصة كما يتوهمه بعض الناس.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعيته فلم ينصح (الفتح ١٣/ ١٢٧ ح ٧١٥١).
ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغَاش لرعيته النار (١/ ١٢٥ ح ١٤٢).

فوائد علمية من دروس الشيخ حفظه الله

١ - الجن من الغيبيات، والاسترسال في التكلف في مخاطبتهم عند بعض من يرقون الناس فيه نظر.

٢ - الصحيح أن صلاة العشاء لا يخرج وقتها إلا بطلوع الفجر لأمرين:

الأول: دليل نظري وهو أنه لا يستطيع أحد أن يحدد نصف الليل على وجه الدقة في الوقت السابق، وذلك قبل خروج آلات التحديد من الساعات وغيرها، والشرع ضبط أوقات الصلاة بعلامات ظاهرة يعرفها أكثر الناس.

الثاني: من حيث الدليل الشرعي، قوله ﷺ: «ليس في النوم تفريط إنما التفريط فيمن يدع الصلاة حتى يدخل وقت الأخرى»[1].

وخرج من ذلك صلاة الفجر بالإجماع، وكذلك إجماع أهل العلم على أن الحائض إذا طهرت قبل طلوع الفجر وجبت عليها صلاة العشاء، فدلّ على عدم خروج وقتها، فيقسم وقتها إلى قسمين:

* اختياري إلى نصف الليل.
* واضطراري إلى طلوع الفجر.

٣ - قال في قوله تعالى: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ [يوسف:١٠٦] ذكر الشنقيطي أن الإيمان هنا هو الإيمان اللغوي.

٤ - ذكر أن الجزية تؤخذ من عموم الكفار لحديث بريدة.

٥ - الاستعانة بالمشرك جائزة بشرطين:

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الفائتة واستحباب تعجيل قضائها (١/ ٤٧٢ ح ٦٨١).

أ - ألا يكون للكافر سلطة على المسلم.

ب - أن يكون المسلمون في فترة ضعف.

٦ - لا يجوز إدخال الكفار إلى جزيرة العرب، ولا صحة لما يدعيه بعضهم بجواز إدخالهم بصفة مؤقتة، وتأويل النصوص على أن المراد الإقامة الدائمة فكل ذلك غير صحيح.

٧ - رد السلام على الكافر لا يجوز حتى وإن صرّح بلفظه، وإنما يقال له «وعليكم» كما جاء ذلك في الأثر.

٨ - الأصل يبقى على أصله، وفي الحيوانات المتوحشة مثلاً تبقى على أصلها حتى وإن استأنست وكذلك العكس.

٩ - لو ضحى عن الميت استقلالاً لصحّ لعموم جواز الصدقة عن الميت لكن لا تتخذ عادة بحيث يترك الحيّ.

١٠ - ما قيل في العقيقة من التصدق بوزن شعر المولود، قال الشيخ: لم أر ما يعتمد عليه، وكذلك الأحاديث الواردة في الأذان والإقامة ليست بصحيحة، وإن حسنها بعض أهل العلم والأمر يتعلق بعبادة.

١١ - أحاديث الوعيد كما جاءت وخاصة في مقام الوعظ والتوجيه، والتفصيل فيها يضعف من أثرها في القلوب بعكس مقام التعليم والتدريس فالتفصيل فيها أولى.

١٢ - الصفات التي جاءت في أضحية الرسول ﷺ في كون الكبشين أملحين أقرنين جاءت من باب الموافقة، لا من باب القصد والسنية، والضابط في الصفات التي تزيد من فضل الأضحية ما كان فيه زيادة لنفع الفقير.

*****

الفهرس

المقدمة ٥

ترجمة الشيخ ٧

ما قيل في الشيخ شعراً ١٤

إلى الموقعين عن رب العالمين ١٥

حكم رمي الجمار بالليل ٢٣

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حياة الأمة ٣١

* بشائر وإنذارات القرآن ٣٦

* بشائر وإنذارات السنة ٣٨

* حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٢

* ما ينبغي أن يتحلى به الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ٤٣

* مراتب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٥

* هل يلزم من إنكار المنكر مظنة الاستجابة ٤٩

* هل يلزم من إنكار المنكر ألا يكون المنكِر مرتكبًا لذلك المنكر؟ ٥٠

* الأساليب التي تستعمل في الأمر المعروف والنهي عن المنكر ٥١

* المداهنة والمداراة ٥٤

* ما يترتب على الامتثال من خير وعلى الإهمال من شر ٥٧

* أسئلة حول موضوع المحاضرة ٥٩

وصايا للدعاة (١) ٦٧

* نصائح وتوجيهات ٦٩

وصايا للدعاة (٢) ٨١
الوسط المطلوب ٨٧
* بيان وإيضاح كيف كانت هذه الأمة وسطا ٩٥
* بواعث أو أسباب الخروج عن الوسطية المطلوبة ١٠٠
الدعوات الإصلاحية وأثرها في المجتمع ١٠٣
إلى خطباء الجمعة ١١٨
رسالة في الإسبال (تحرير مسألة رفع الإزار إلى نصف الساق) ١٢٤
حكم نقل ماء زمزم ١٢٨
صفة قنوت النوازل ١٣٢
حكم تحديد المهور ١٣٦
الاستسقاء ١٤٠
إلى قادة الجهاد الأفغاني ١٤٣
إلى من يهمه أمر المسلمين (١) ١٤٧
إلى من يهمه أمر المسلمين (٢) ١٥١
نصيحة أخوية ١٥٥
بين المعهد وطلابه ١٥٩
تقريرات علمية من دروس الشيخ ١٦٢
فوائد علمية من دروس الشيخ ١٧٤